الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة- تلمسان-

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

fac/L/11
02557
2014
الرقم

تخصص حضارة عربية إسلامية

جامعة بوبكر بلقايد - تلمسان
كلية الآداب و اللغات
مكتبة اللغة و الأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر موسومة ب

الخلفاء الراشدون و دورهم في قيام الحضارة العربية الإسلامية

أبو بكر الصدّيق و عمر بن الخطّاب رضي الله عنهما (أنموذجا)

د

إعداد الطالبة

نصيرة درهاب

إشراف الأستاذ

نور الدين قدّوسي

العام الجامعي 2013 – 2014

1435هـ – 1436هـ

200 - 1/01

الدعاء الافتتاحي

"يا رب لا تدعني أصاب بالغرور إذا نجحت ولا أصاب باليأس إذا فشلت ،بل ذكرني دائما بأن الفشل هو التجارب التي تسبق النجاح.

يا رب علمني أن التسامح هو أكبر مراتب القوة وأن حب الانتقام هو أول مظاهر الضعف

يا رب إذا جردتني من المال أترك لي الأمل ،وإذا جردتني من النجاح اترك لي قوة العناء حتى أتغلب على الفشل ،وإذا جردتني من نعمة الصحة أترك لي نعمة الإيمان ،يا رب إذا أسأت إلى الناس أعطني شجاعة العفو ،يا رب إذا نسيتك فلا تنسني وأنت يا رب القائل "إذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني "

شكر وتقدير

أولا وقبل كل شيء نشكر المولى عز وجل الذي وفقنا لي إتمام هذا العمل المتواضع، كما نتقدم بشكر خاص إلى الأستاذ المشرف "قدوسي نور الدين "الذي ساعدنا كثيرا بنصائحه وتوجيهاته.

فأدامه الله شمعة مضيئة في كلية الأدب العربي.

ونوجه شكرنا الخاص إلى الأستاذة المناقشة"

إهداء

إلى التي حملتني وهنا على وهن
وأشبعتني حليبها حولين كاملين ورافقتني
بجنانها لعرشين عاما.

*إلى اخلص مخلوق دفعني وشجعني وساعدني لمواصلة الدراسة إليك أمي ،أمي ،أمي عائشة.

*إلى الذي ضحى براحته من أجلي ،إلى من دفعني إلى الحياة بحب وأمل ،إلى من حمل على عاتقه مسؤولية تربيتي وتعليمي ،إلى منبع الحنان الفياض ورمز الوفاء إليك يا أغلى من في الوجود أبي الغالي.

* إلى كل إخوتي وأخواتي

*وإلى خالتي فاطمة وعمي يحي وأخوات زوجي

*وإلى زوجي الحبيب عبد القادر الذي كان لي بمثابة السند والنور إل طريق النجاح. و ابنتي الغالية والحبيبة قطر الندى.

*و إلى طفلي الذي في بطني أهديه عملي وقلبي وروحي.

*وإلى صديقاتي فتيحة وفاطمة الزهراء و فاطمة عرابي و إلى أعز صديقاتي خديجة مجاهدي.

نصيرة درهاب

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

تعدُّ الحضارة العربية الإسلامية -التي بزغ فجرها مع مجيء الإسلام- إحدى الوقفات الإنسانية العظيمة في تاريخ البشرية جمعاء، و هي تحسب من أهم الحضارات التي ميزت العنصر البشري بفضل ما توصلت إليه من تقدّم وازدهار في شتَّى مجالات الحياة. ولئن كان الأمر كذلك فإنَّها بلا شكّ لم تأت من فراغ ولكن كان لها أسباب و دوافع و تهيَّأت لها الظروف و مناخات ساعدت على قيامها على أكمل وجه كما يشهد عليه تاريخها المجيد.

إنّ من أهمّ أسباب قيام الحضارات هو العنصر البشري لاريب، الذي بفضل وعيه المتقدم يكون إنساناً مبدعاً خلاّقاً قادراً على بناء مجتمع حضاري وتكوين دولة تحكمها المؤسسات القويّة، تعمل على تسيير أمورها و تستشرف مستقبلها. و كم نجد في كتب التاريخ من أسماء لرجال عظماء صنعوا أمجاد أقوامهم بما تميّزوا به عن غيرهم من حنكة و بداهةٍ و حسن تقدير. و ليس غريباً أنَّ أعظم نموذجٍ لهذا الصنف من الرجال نجده في حضارتنا العربية المسلمة و المتمثِّل في شخص رسول الله عليه أفضل الصلاة و أزكى التسليم الَّذي يعتبر أول من وضع اللَّبِنة الأولى في بناء صرح حضارة شملت كلَّ بقاع الأرض طيلة قرونٍ عديدة و أخرجت العرب من جاهلِيَّتهم فبعد أن كانوا يعبدون الأصنام التي يصنعونها بأيديهم من الحجارة و الخشب، و يأكلون المَيْتَةَ و يأتون الفَوَاحش و يقطعون الأرحام و يُسِيؤُون الجوار و يأكل القويُّ منهم الضعيفَ، بعث الله إليهم رسولًا منهم يعرفون حسبه و صِدقه و أمانته و عفّته لتنقلهم إلى نور الإسلام و أسمى مراتب الإنسانيَّة، ولكنّها لم تقتصر على عرب شبه الجزيرة بل إنّها علَّمت غير العربي أيضاً أسمى أنواع الفضائل التي حملها الإسلام.

أفلا يكون جديراً بنا أن نولي لمثل هذا الإنجاز الحضاريّ العظيم حيّزا من بحثنا نحاول من خلاله تتبُّع أهم المراحل الأساسية التي مانت وراء هذا الصرح باعتبار أنّ الحضارة العربية الإسلامية جاءت من خبر السماء. فبالرَّغم من أنَ المصدر الأوّل كان الرسالة المحمديَّة، رسالة الله إلى عبادِهِ و التي استمرَّت ما يناهز ربع قرن، إلاّ أن صداها تجاوز كل الحدود و عمّر مل البقاع بفضل رجال جاؤوا بعد رسول الله ﷺ، حملوا المشعل و مشوا على النّهج، فتحوا مشارق الأرض و مغاربها، صنعوا الأمجاد و أعطوا لحياتهم معنًى جعل الذاكرة الإنسانية تشهد لهم بتفرُّدهم و عطائهم للإنسانية جمعاء.

من أهمّ هذه الشخصيّات التي ارتأينا أن نركّز عليها في بحثنا، أول و ثاني خلفاء الرسول الكريم عليه أزكى الصلاة و التسليم، أبو بكر الصِّدّيق و عمر بن الخطّاب رضي الله عنهما و أرضاهما، باعتبارهما –بحقّ- من مؤسسي الدولة الإسلاميّة، و الفاعلين في حياتها السياسيّة، حيث أننا سنركّز على هذا الجانب الذي نجده فعّالا في كل الحضارات الأخرى. فلا يمكننا الحديث مثلاً عن الحضارة المصرية إلاّ بالحديث عن أسماء الفراعنة الذين تداولوا على المُلك ولن يمون للكلام معنًى إذا تحدّثنا عن الحضارة اليونانية أو الرومانية دون الحديث عن أسماء صانعيها.

من هذا المنطلق سنخصص حيّزا هامًّا من بحثنا لإبراز الدور المركزيّ الّذي كان لهذين العلمين في التأسيس للدولة الإسلامية و بالتالي للحضارة العربية الإسلامية.

خطة البحث: لقد تضمّن هذا البحث خطة تمثلت في مقدّمة و مدخل و ثلاثة فصول، كل فصلٍ حوى ثلاثة مباحث. أمّا الفصل الأول فعنوانه الدولة الإسلامية في عهد رسول الله ﷺ و قد ضمّ تحت طيّاته ثلاثةَ مباحث، المبحث الأول: تشكُّل الدولة الإسلامية في عهد الرسول الكريم ﷺ ليكون المبحث الثاني عن انتقال الحكم إلى الخلفاء بعد وفاته ﷺ ثمّ المبحث الثالث : الوجه الجديد في تشكّل الحضارة العربية الإسلاميّة. أمّا الفصل الثاني فعنوانه أبو بكر الصِّدّيق مع مبحث أوّل بعنوان خلافته رضي الله عنه، و الثاني دور الخليفة في تشكيل الحضارة و أهمّ الإنجازات التي ساهمت في قيامها. و مبحث ثالث عن أهمّ الدروس و العبر و الفوائد من خلافته رضي الله عنه. أمّا الفصل الثالث فقد عُنونَ إسهامات الخليفة عمر بن الخطّاب في تطوير النظم الإسلاميّة و أثرها في الحضارة الإنسانيّة، حيث ضمّ بدوره ثلاثة مباحث: تطوير نظام الولاية على الأقاليم، تطوير النظام القضائي و تطوير النظام الإداري و في الأخير الخاتمة. و قد تطرّقنا فيها إلى عدّة نقاط ملخصة و مجملة في بحثنا هذا و المتمثلة في الدور الفعّال للخلفاء في قيام الحضارة العربية الإسلامية.

أسباب اختيار الموضوع: من الأسباب الرئيسية التي جعلتني أختار هذا الموضوع هو أنه يندرج ضمن عنوان المشروع الرئيسي للماستر "حضارة عربية إسلامية" هذا من جهة، و من جهة أخرى إبراز أحد الجوانب المهمّة في قيام الحضارة العربية الإسلاميّة. هذا ما يخص الجانب الموضوعي للبحث، أما البعد الذّاتي لاختياري هذا الموضوع فيعود إلى حبي الشديد لهذين

الشخصين "أبو بكر الصِّدِّيق" و "عمر بن الخطّاب" كونهما في نظري أهمّ الشخصيّات الإسلاميّة بعد الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة و أزكى التسليم. فقد كان لهما الفضل الكبير في إرساء الخطوط العريضة للدولة القوية التي أقامت حضارة جابت مشارق الارض و مغاربها.

صعوبات البحث: من أهمّ الصعوبات التي واجهتنا في بحثنا هذا هي ضيق الوقت، ندرة المصادر و المراجع، عدم تفهم بعض الأشخاص لظروف الدراسة بالإضافة إلى أن الموضوع لم تتطرق إليه الدراسات من قبل

نصيرة درهاب

في 2014/05/10

المدخل :

لقد جاء الإسلام لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور وتحقيق السعادة لهم في الدنيا والآخرة ،وإيجاد المجتمع الصالح الملتزم بالإسلام عقيدة وعبادة ومعاملة وأخلاق .

فكان الله سبحانه وتعالى قد بعث محمد ﷺ ليقوم بالدعوة إلى الإسلام ،وتوحيد الله وعبادته وحده على النهج الذي شرعه ،وليقوم بتزكية النفوس وتربيتها ومحاربة كل ما يؤدي إلى فسادها وفساد المجتمع .

ولما كان العلماء هم ورثة الأنبياء في تبليغ هذا الدين الحنيف قام الصحابة رضوان الله عليهم فمن بعدهم من السَّلف الصالح بدعوة الناس الى الخير وارشادهم الى سلوك الصراط المستقيم [1].

رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى أعلمه الله تبارك وتعالى بالذي يكون من الدين مرد على اتفاق بأنهم سوف يسبون أصحابه الذين آمنوا حين كفر الناس فقال ﷺ **"لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مد أَحَدِهِم وَلَا نِصْفَه"**.

النبي ﷺ أحبَّ أصحابه وهم له أشد حبا من أنفسهم وأولادهم، وإن الذين ينالون من الَّذين تربَّوا في بيت الأرقم ومن إخوانهم من المهاجرين من الذين آووا ونصروا والذين اتبعوهم بإحسان فإنهم في الدرك الأسفل من النار إلا من تاب وعمل صالحا .

إن الرعيل الأول من الصحابة سارع الى مغفرة من ربّهم وبشرهم بجنة عرضها السموات والأرض يوم القيامة يسعى نورهم بين أيديهم .

لقد أغاظ رسول الله ﷺ بأصحابه -رضي الله عنهم- الكفّارَ من حياته وبعدما استلموا الراية من بعده فقال الله تعالى :﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾[2]

والكافر هنا هو الكافر في نظر الإسلام لأنه ذكر الزراع ثم يقول ليغيظ بهم الكفار[3]، ولذلك فإن سيرة الصحابة رضوان الله عليهم وتاريخهم من أهم ما يحتاج إليه كل مسلم ومسلمة في كل عصر وزمان ،فهي تصور لنا حياة هؤلاء الرجال الأبطال الأفذاذ الذين أنار الله تعالى بهم ومن خلالهم نور الإسلام في صدورنا والتي لا تزال أمتنا الإسلامية العريقة تفخر بهم وبسيرتهم وبتاريخهم صحابة وعلماء وقضاة وحكماء وخلفاء [4].

ولما امتلأت قلوبهم بالإيمان وزينه الله ﷻ فيها ليُظهر نِعمتَه عليهم قال تعالى:﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُم﴾" ولمّا اتبعوا النبي ﷺ وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة بشرهم الله

---

[1]-أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين محمد رضا دار الكتاب العربي .لبنان .ط.د.ت.ص 7

[2]-سورة الفتح الآية 29 .

[3]-رجال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق الدعوة أحمد بن يوسف القادري .دار الأرقم .لبنان .ط.01 .2000

[4]-أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين .محمد رضا ص 9

تعالى بالنجاح والفلاح ،ولما تآخى الصحابة بعضهم مع بعض بفضل النبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى في حقهم: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[1] فكانوا خير صحابة لأفضل نبيّ ورسول الله ﷺ وقاموا بعده بأعباء الرسالة، والحرص على الدعوة ونشر الإسلام في أكثر بقع الأرض .وهانت عليهم أنفسهم وجاهدوا في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم، وقدّموا حياتهم التي هي أغلى شيء عند الإنسان من أجل إيصال كلمة الحق ،كلمة التوحيد إلى البشر[2]

إن التاريخ الإسلامي هو أنقى وأزهى وأعظم وأدقّ تاريخ عرفته البشرية وسعدت الدنيا بتدوينه فهو تاريخ أُمَّة شاهدة وأُمَّة خاتمة وصالحة، نقية تقية وهي لَأُمة آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر، والتاريخ الإسلامي هو تاريخ حضارة جمعت الأخلاق والسياسة والاجتماع والاقتصاد والمعمار والقضاء والقوة والإعداد والذكاء والتدبير جمعت كل ذلك جنبا إلى جنب مع سلامة العقيدة وصحّة العبادة وصدق التوجه ونيل الغاية ،وصدق الله ﷻ إذ يقول :﴿"اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا﴾[3]

وإذا تصفَّحنا التاريخ الإسلامي بكل وجدنا بين حياته تاريخ عصر الخلفاء الراشدين المليء بالدروس والعبر، لكنَّها متناثرة في بطون الكتب والمصادر والمراجع، سواء كانت تاريخية أو فقهية أو أدبية فنحن في أشدّ الحاجة لجمعها وترتيبها وتوثيقها وتحليلها، فتاريخ الخلافة إذا أحسن عرضه يغذي الأرواح ويهذب النفوس وينوّر العقول ويحشد الهمم ويقدم الدروس ويسهل العبر وينضج الأفكار، فنستفيد في إعداد جيل مسلم وتربيته على منهاج النبوة ونتعرف على حياتهم وعصرهم وماذا أقول من أجل رفع راية الإسلام[4]. قال تعالى فيهم :﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْه وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَار خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيم ﴾[5].وقال ﷺ فيهم :"**عَلَيْكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي عُضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِد**" واتباعهم لا يكون إلا بعد مطالعة سيرهم و تاريخهم وطبقاتهم وحفظ أقوالهم ونقل مواقفهم ،وكما كان لنا في رسول الله ﷺ

---

[1]- سورة آل عمران الآية 103

[2]-المرجع السابق ص 12

[3]- سورة المائدة الآية 03

[4]- لإنشراح ورفع الضيق في سيرة أبو بكر الصديق وشخصيته وعصره ،علي محمد الصلابي .دار التوزيع والنشر الإسلامية .د.ط.2002 ص 7

[5]-سورة التوبة لآية 100

أسوة حسنة فليكن لنا في صحابته -رضوان الله عليهم- أُسوة حسنة، فنأخذ الحكمة من أبي بكر والحزمَ من عمر وغيرهم من الصحابة -رضوان الله عليهم- [1]. فالصحابة قاموا بتطبيق أحكام الإسلام ونشروه في مشارق الأرض ومغاربها، فعصرهم خير العصور فهم الذين علّموا الأمة القرآن الكريم ،ورَوَوا لها السنن والآثار عن رسول الله ﷺ وتاريخهم هو الكنز الذي حفظ مدَّخرات الأمة و هي الفكر والثقافة والعلم والجهاد وحركة الفتوحات والتعامل مع الشعوب والأمم [2]

لما بايع المسلمون أبا بكر الصديق بعد وفاة النبي ﷺ لأنه أفضل المهاجرين، وثاني اثنين إذ هما بالغار وأوَّل خليفة لرسول الله الكريم، تولى خلافة المسلمين وإدارة شؤون البلاد خاصتها وعامتها ولما حضرت أبا بكر الوفاة اختار لهم عمر بن الخطّاب قائلا :"**إذَا لقِيتُ اللهَ ربي فسَأَلَني قُلتُ استَخلفْتُ علَى أَهلِكَ خَير أَهلِكَ**" وقال :"**أتردُّون بمن أستخلف عليكم فإني والله ما ألوت من جهد الرأي ولا وليت ذا قرابة ،وإني استخلفت عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا .فقالوا سمِعنا وأطعنا** ".

فلم يكن أبا بكر معارضا في اختيار عمر للخلافة بعده وحاشاه أن يكون معارضا فقد كان عارفا لأقدار الرجال مقدارا لهم واثقا مقدرا لهم واثق بأن عمر خير من يصلح للمسلمين بغض الطرف عن أي اعتبار آخر[3]. ولقد اختلفت الآراء حول الخلافة الراشدة أو الخلفاء الراشدين ويمكن تقسيمها الى رأي المسلمين وغير المسلمين

رأي أهل السنة والجماعة حيث يعد علماء المذاهب الأربعة (الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية) دولة الخلافة الراشدة أعدل دول الخلافة الإسلامية على الإطلاق وصحتها تطبيقا لنهج الإسلام وأكثرها تسامحا وقسطا، وأن الخلفاء الراشدين جميعهم سواسية، لا فضل لأحد منهم على الآخر، وأن ما حصل في عهد علي بن أبي طالب إنما هو خلاف سياسي دنيوي يقع في أي عهد وأي دولة وعند أي حاكم. وفي حديث عن الإمام أحمد بن حنبل نقلا عن سفينة أبي عبد الرحمن قال :قال رسول الله ﷺ "**الخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ**

---

[1]-أبو بكر الصديق ،محمد رضا ص 10

[2] -المرجع السابق ص 8

[3]- الفاروق عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين .محمد رضا دار الفكر لبنان ط.1 .2004 ص 8

ذَلِكَ" ثم قال سفينة "أمسك عليك خلافة أبا بكر "ثم قال "وخلافة عمر وخلافة عثمان "ثم قال لي "أمسك خلافة علي " قال "فوجدناها ثلاثين سنة".

ويرى المسيحيون الذين ينعموا في العصور السنة الأولى لينعم الشام والعراق ومصر بالسلام والطمأنينة ولم تتبدل أوضاعهم سوى الضرائب المترتبة عليهم أصبحت تدفع إلى العرب بدلا من البيزنطيين، وقد التزم الخلفاء الراشدين بالعهد الذي قطعه النبي محمد لنصارى نجران [1]

وهكذا فإن الخلفاء الراشدين وعصرهم كان أجمل العصور وأبهاها لأن هؤلاء الخلفاء وخاصة أبو بكر وعمر -رضي الله عنهما- عايشوا رسول الله وذاقوا مرارة الكفار وجبروت الطغاة فهم الذين شربوا المر مع رسول الله ﷺ و لكنّهم شربوا أيضاً من كأس الهداية والدين وانفتحت قلوبهم على القرآن و يا لهم من محظوظين فجنات الخلد مأواهم وكيف لا وهم من المبشرين بالجنّة فيا له من عصر عاشوا فيه وأدركوا فيه حلاوة الإسلام .

[1] - الخلفاء الراشدون –أمين القضاة- دار الآفاق الجزائر د ط ص 134

الفصل الأول

الدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ

الفصل الأول

الدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ

- تشكُّل الدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ
- انتقال الحكم إلى الخلفاء بعد وفاته ﷺ
- الوجه الجديد في تشكل الحضارة العربية الإسلامية

المبحث الأول:

تشكل الدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ

جاء الإسلام فغيّر مجرى الزمن ونزل القرآنُ فحوَّلَ من اتجاه الفكر. وقد كان منهج القرآن الكريم في الحوار، و الإثارة والإقناع وفي التجربة والامتحان بالصدق والتمثيل والتعليل وفي الحجة والبرهان وفي الظن والحدس، وفي ضرب المثل للغائب بالشاهد وللبعيد بالقريب وللغامض بالواضح وفي غير ذلك، علّهُ كان هذا المنهج القرآني الفريد الجديد المنقطع النظير هو منهج الحياة كلّها ومنهج البشر أجمعين فكان هو المعلم الأكبر الذي تخرج على يديه أعلام الثقافة الإسلامية في شتى فروع الدين والعلم من الصحابة والتابعين وهو النور الذي حملته العقول المسلمة[1] والتاريخ الإسلامي هو ولاشك في ذلك أنقى وأزهى وأعظم وأدق تاريخ عرفته البشرية وسعدت الدنيا به فالتاريخ الإسلامي هو تاريخ أمة شاهدة وأمة خاتمة وأُمَّة صالحة وتقية ونقية، وهو تاريخ أُمَّة آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر[2] .وقد سار الزمن سيرته ودارت الأيام دورتها ومنهج القرآن في المنطق والفكر والثقافة هو منهج المسلمين جميعا[3] ومنهج الدعاة والصحابة والتابعين وتابعي التابعين وهو المنهج القريب إلى العقل وإلى الحياة وإلى طبيعة النفس الإنسانية ولغة الإقناع والإثارة والتأثير.

انتشر الإسلام ودخلت فيه الأمم من الشرق والغرب وحملت كل أمَّةٍ معها زاد من ثقافتها وعلومها والتاريخ الإسلامي هو تاريخ حضارة جمعت كل مجالات الحياة في منظومة رائعة راقية جمعت الأخلاق والسياسة والاجتماع والاقتصاد والمعمار والقضاء والترقية والقوة ،والذكاء والتدبير جمعت كل دلك جنبا إلى جنب مع سلامة العقيدة وصحة العبادة وصدق التوجه ونبل العناية وصدق الله تعالى إذ يقول ﴿ **اليَوْمَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُم نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُم الإِسْلاَمَ دِيناً**﴾[4]

ولقد سيطرت الحضارة العربية مند قرون على الأقطار الممتدة من نواحي المحيط الأطلنطي إلى المحيط الهند وحتى شواطئ البحر المتوسط ، فلم ينفق للأمة ما أنفق العرب من النقود وأنه الفرق بين بناء الدولة وبين تأسيس حضارة ولقد أنشأ العرب بسرعة حضارة جديدة لهم فأنشأوا من فورهم حضارة أفضل من

---

[1] خلود الإسلام محمد عبد المنعم خطابي دار الشهاب باتنة د.ط. ت 1986ص 114

[2] الموسوعة الميسر في التاريخ الإسلامي د. راغب السرجاني مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع ح 01 ط الأولى 2005

[3] المرجع السابق ص115

[4] - سورة المائدة 3

جميع الحضارات التي كانت قبلها وعندما تتحدث عن ماضي الإسلام في قيادة العالم لا نتحدث إلا من واقع معروف وعن تاريخ مسطور

ولا يمكن أن يتهمنا في ذلك أخذ باللغز أو بالخيال1 وفي مكة المكرمة، ومن فوق جبل أبي قيس منذ قرون ردّد الكون يوم البعث ونداء الحياة وأذان الفجر ونشيد الحرية وقف محمد بن عبد المطلب صلوات الله عليه يخطب قريشا "**إِنَّ الرَّائِدَ لا يَكذِبُ أَهْلَه وَاللهِ لَو كَذَبْتُ النَّاسَ كُلَّهُم مَا كَذَبْتُكُم وَلَوْ غَرَرْتُ النَّاسَ مَاغَرَرْتُكُم**2 **وَاللهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِنِّي لَرَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم وَإِلَى النَّاسِ كَافَّة**" ولما بقوا في الفساد والكفر وقف فيهم خطيبا يقول "**مَا جِئْتُ بِمَا جِئْتُكُم بِهِ أَطْلُبُ أَمْوَالَكُم وَلَا الشَّفَقَةَ فِيكُم وَلَا المُلْكَ عَلَيْكُم وَلَكِن الله بَعَثَنِي إِلَيْكُم رَسُولًا وَأَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَابًا وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ لَكُم بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَبَلَّغْتُكُم رِسَالَاتِ رَبِّي فَإِنْ تَقْبَلُوا فَهُوَ حَظُّكُم فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة وَإِنْ تَرُدُّوا عَلَى أَنْ أَصْبِرَ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُم وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِين**، وخرج إلى سوق عكاظ فوقف في العامرين يقول لهم **إنّي رسول الله إليكم وإلى الناس كافَّة ووقف على حجاج بيت الله في كل موسم يدعوهم إلى الإسلام** "[3] قال تبارك وتعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[4].

لقد نشأ الرسول ﷺ يتيما فقيرا لم يُترك له مال فلما ماتت أمه آمنة كفله جده عبد المطلب ولما شب على الطوف رعى الغنم على قراريط لفقره وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ "**مَا مِن نَبِيٍّ إِلَّا رَعَى الغَنَم** .قَالُوا وَأَنْتَ يَا رَسُولَ الله ؟ قالَ **نعَم كُنتُ أَرْعَاها عَلى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّة**"[3] (القراريط هي جمع قيراط وهو جزء من الدينار أو الدرهم).

أدَّبه الله تعالى فأحسن تأديبه ليُعِدَّه لحمل رسالة الإسلام ،فنشأ أمينا صادقا شهد بصدقه وأمانته سادة مكة بذلك عندما اختلفوا في وضع الحجر الأسود بعد بناء الكعبة قال أبو أمية من المغيرة وكان أسنَّ قريش :اجعلوا بينكم فيما تختلفون أول من يدخل من باب المسجد ففعلوا فكان أول من دخل عليهم رسول ﷺ فلما رأوه قالوا: هذا الأمين ،رضينا به[5] ولما اكتمل للنبي ﷺ أربعون سنة وفي أثناء تعبُّدِه بغار حراء كما تعوَّد على ذلك في آخر ثلاث سنوات وفي شهر رمضان شاءت إرادة الله عز وجل[6]

---

[1]- المرجع السابق ص 116

[2]- التاريخ الإسلامي د. راغب السرجاني ص 7

[3]- خلود الإسلام محمد عبد المنعم خفاجي ص 126

[4]- سورة الأحزاب الآية 21

[5]- رجال مع رسول الله

[6]- التاريخ الإسلامي د. راغب السرجاني ص 14

و مشيئته أن يفيض من رحمته على أهل الأرض وأن تتصل الأرض بالسَّماء فأرسل أمينَ السماء جبريل بالوحي على أمين الأرض محمد ﷺ فكانت النُبوَّة والرسالة والقرآن والدعوة والجهاد الذي لا ينقطع من أجل إيصال هذا النور إلى قلوب الناس أجمعين[1]

فمنحه الله قوة عظيمة دونها قوة البشر ليتحمل وطأ الوحي فكان عندما ينزل عليه في اليوم الشديد البرد يفتصَّد جبينه عرقا ولما تنزَّل عليه روح القدس في غار حراء قال له :اقرأ فقال ما أنا بقارئ فأخذه فغطه حتى بلغ منه الجُهد ثم أرسله فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ فأخذه فغَطَّه حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله فأخذه الثالثة فغطَّه حتَّى بلغ منه الجُهد ثم أرسله فقال :﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ حتى بلغ إلى قوله ﷻ ﴿مَالَمْ يَعْلَمْ﴾ إن الله تبارك وتعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليكون للعالمين بشيرا ونذيرا[2].

بدأ النبي ﷺ يدعو إلى الله وإلى الإسلام من يتوسَّم فيه خيرا ممن يعرفهم ويعرفونه مثل خديجة بنت خويلد وأبي بكر الصديق . "يروى عن النبي ﷺ أنه مشى ومعه أبو بكر الصديق حتَّى انتهوا إلى مجلس عليه السَّكينة والوقار و إذا مشايخ من شَيْبَان لهم أقدار فجلس وجلس علي وقام أبوبكر يظلِّل رسول الله بثوبه فقال لهم رسول الله ﷺ " **أَدْعُوكُم إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَه لَا شَرِيكَ لَه وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ وَ أَنْ تُأْوُونِي وَ تَنْصُرُونِي حتَّى أُؤَدِّي عَنِ اللهِ مَا أَمَرَنِي بِه**" ولم يترك الرسول الكريم مكانا ولا قوما إلا قصدهم ليبلغهم رسالة ربه[3]

وظلَّ الرَّسول الكريم يدعو إلى ربّه سرا حوالي ثلاث سنوات حتى نزل قوله ﷻ ﴿**وَأَنذِر عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِين**﴾[4] فبدأ بالدعوة بين أهله وعشيرته ثم نزل قوله تعالى ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرْ وَأَعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِين**﴾[5].

فقام الرَّسول ﷺ بالجهر بالدعوة إلى الإسلام في كلِّ مكان بمكة لتبدأ مرحلة جديدة مِن الدَّعوة. وهكذا شرعت قريش تطعن برِسالته وقالوا ساحر أو مجنون ﴿**وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُون**﴾[6] فرد الله عليهم فقال ﷻ ﴿**ن وَالقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُون مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُون**﴾[7] وقال النضر بن الحارث يلوم قريش الَّذِين لم يصدقوا النبي ﷺ :"يا معشر قريش إنَّه قد نزل بِكم أمر ما أتَيتم بِه بِحيلَة بعد، قَد كان مُحمَّد فِيكم غُلاما حدَثا أصدَقكم حديثا وأعظَمكُم أمَانة".

---

[1]- رجال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطريق إلى الدعوة أحمد بن يوسف القادري ص12

[2]- التاريخ الإسلامي د. راغب السرجاني ص14

[3]- خلود الإسلام عبد المنعم خفاشي ص111

[4]- سورة الشعراء الآية 214

[5]- سورة الحجر الآية 94

[6]- سورة الدخان الآية 14

[7]- سورة القلم الآية 1-2

و لم يكن رسول اله ﷺ جبَّارا بالأرض بَل كان رسولا ونبيًّا عليه جلالّة النُّبوة متواضعا هَيِّنًا لَيِّنًا.

إذن هذا هُو الإسلام وهذا هو الوهج المنير في الحياة البشرية جمعاء، وقد كان للإسلام والدعوة المحمدية أثران كبيران في عقلية العرب من ناحيتين: مباشرة وهي تعاليمهم التي أتوا بها مخالفًا لعقائد العرب و ناحية غير مباشرة وهي أنَّ الإسلام مكَّن العرب من فتح فارس ومُستعمرات الروم. و الإسلام بمعناه إذا تتبَّعنا مادَّة "س.ل.م" ونشوء كلمة الإسلام رأينا أن معنَى السَّلام والمسالمة وضِد المسالمة الحربُ و الخصام.

ولقد هدم الإسلام الوحدة القبلية والوحدة الجنسية وكثرة التفاضل بشرف القبلية أو شرف الجِنس وحسمَ الطَّاعة لِلهِ و لِلرَّسول.

وكان للإسلام أثر كبير في تغيير قيمة الأشياء والأخلاق في نظر العرب ولقد لقي النبي ﷺ صعوبات كبيرة في نَقلِهم من الجاهلية إلى عَقليَّتهم الإسلامية[1] وهَكذا كان تَشكُّلُ الدَّولة الإسلامية في عهده ﷺ.

المبحث الثاني :

[1]- فجر الإسلام أحمد أمين دارموقم للنشر د.ط 1994 ص 116

انتقال الحكم إلى الخلفاء بعد وفاته ﷺ

إن الأرواح الشفافة الصافية لَتُدرِكُ بعض مَا يكون مَخبُوءًا وراء حُجب العين بقدرة الله تعالى والقلوب الطّاهرة المطمئنة لتُحدِّث صاحبها بما عسى أن يحدُث له فيما يستقبل من الزمان والعقول الذكية المستنيرة بنور الإيمان لتدرك ما وراء الألفاظ والأحداث من إشارات وتلميحات، ولنبينا محمد ﷺ من هذه الصِّفات الحظَّ الأوفر وهو منها بالمحل الأرفَع الّذي لا يسامى ولا يطاول[1].

ولقد جاءت بعض الآيات القرآنية مؤكدة على حقيقةِ بشرية النبي ﷺ وأنَّه كغيره من البشرية سوف يذُوق الموت ويعاني سكراته كما ذاقهُ مِن قَبلُ إخوانُه من الأنبياء. ولقد فهم ﷺ من بعض الآيات القرآنية اقتِراب أجَلِه .وقد أشار ﷺ في طائفة مِن الأحاديث الصحيحة إلى اقتراب وفاته. منها ما هُو صريح الدَّلالة على الوفاة، ومنها ما ليس كذلك حيثُ لم يشعر ذلك منها إلا الآحاد مِن كبار الصَّحابة الأجِلَّاء كأبي بكر و العبَّاس ومعاذ رضي الله عنهم[2].

لما رجع رسول الله ﷺ من حَجَّة الوداع في ذي الحجّة أقام بالمدينة بَقِيَّتَهُ ومُحرَّم وصفرا من العام العاشر. فبدأ بتجهيز جيش أسامة وأمَّر عليهم أسامة بن زيد بن الحارث وأمرهُ أن يتوجه نحو البلقاء وفلسطين وكان أسامة بن زيد إبن ثمانية عشرة سنة، وتكلَّم البعض عن تأميره وهو مولى وصغير السِّن.فلم يقبل الرسول ﷺ طعْنهم في إمارة أسامة[3] فقال ﷺ "إِنْ يَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَد طَعَنُوا فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ وَأيم الله إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلإِمَارَة وَ إِنَّهُ كَانَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيّ وَ إِنَّ ابْنَهُ هَذَا لَمِن أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ مِن بَعْدِه"[4]. وبينما الناس يشحدون للجهاد في جيش أسامة ابتدئ رسول الله ﷺ شكواه الذي قُبِض فيه[5].

ولم يمكث النبي ﷺ بعد عودته من الحج سوى شهرين حتى بدأ يشعر بالمرض فكان يشكو من الصُّداع ويقول "وا رأساه" وكان من بداية مرضه يتحامل على نفسه ويخرج ليُصلي بالناس إماما ،فلما اشتدَّ عليه المرض أمر أبا بكرٍ أن يصلّي بالنّاس إماما.

---

[1]- السيرة النبوية لأبي شهبة دار القلم دمشق ط 02.1996 ص111.

[2]- مرض النبي ووفاته وأثره على الأمة خالد أبو صالح دار الوطن ط01 ص33

[3]- السيرة النبوية لإبن هشام دار إحياء التراث ط02. 1997 ص120

[4]- الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبوبكر الصديق شخصية وعصرة علي محمد الصلابي دار التوزيع والنشر الإسلامي مصر د.ط.2002 ص112

[5]- الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي راغب المرجاني ص63

وقد روى بن عباس بأنه: لما اشتد بالنبي ﷺ وجعه قال "**ائتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَه**"[1]. ولما اشتدَّ المرض بالنَّبي ﷺ وحَضَرته الصّلاة فأذَّن بلال قال النبي ﷺ "**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ**" فقيل إنَّ أبا بكر رجل أسِيف[2] إذا قام مقامك لم يستطعْ أن يصلّي بالناس، وقد قيل بأنَّ النَّبي ﷺ كان يريد أن ينصَّ على الخِلافة في إنسان معيَّن لئلَّا يقع نزاع وفتن وقيل أراد كِتابا .يُبيّن فيه مهمّات الأحكام ملخصةً ليرتفع النّزاع فيها[3].

واشتدَّت سكرات الموت بالنّبي ﷺ ودخل عليهِ أسامة بن زيد وقد صمت فلا يقدر على الكلام ،فجعل يرفعُ يديه إلى السّماء ثم يضعها على أسامة، فعَرف أنّه يدعو له وأخذت السّيدة عائشة رسول الله وأسندته إلى صدرها بين سَحره ونَحرِها[4] ،فدَخل عبد الرحمن بن أبي بكر وبِيده سِواك، فجعل رسولُ الله ينظر إليه.

فقالت عائشة: آخذُه لك ،فأشار برأسه نَعم ،فَأخذته مِن أخِيها ثمَّ مضغته ولَيَّنَتْه وناولَته إيَّاه فاستاك به كأحسن ما يكون الاستياك ،وكل ذلك وهو لا يَنْفكُّ عن قولِه أتى الرّفيق الأعلى وكان ﷺ بجانبه ركوة ماء أو عليه فيها ماء، فيمسح بها وجهَه ويقول "**لَا إِلَه إِلَّا الله إِنَّ لِلمَوتِ سَكَرَات** " ثم بسط يده فجعل يقول "**في الرفيق الأعلى** " حتى قُبِض ومالت يدُه وفي لفظ أن النَّبي ﷺ كان يقول "**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى سَكَرَات المَوْت** " وقد ورد أن فاطمة رضي الله عنها قالت : **وَا كرب أباه** فقال لها :"**لَيسَ عَلَى أَبِيكِ كَربٌ بَعدَ اليَوْم**" فلمّا مات قالت : **يا أبتاه ...أجاب ربا دعاه ,يا أبتاه ...جنة الفردوس مأواه, يا أبتاه إلى جبريل ننعَاه** فلمّا دُفِن ﷺ قالت لأنَس : **كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله التراب** .

فارق رسول الله الدنيا وهو يحكم جزيرة العرب ويرهبه ملوك الدنيا ويفديه أصحابه بنفوسهم وأولادهم و وأموالهم وما ترك عند موته دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمَةً وكان أشدَّ الأيام سوادا ووحشة ومصابا على المسلمين ومحنة كبيرة للبشرية كما كان يوم ولادته أسعد يوم طلعت فيه الشمس[5].

وقد كان وقعُ المصيبةِ على أصحابه قاسيا وطاشت أحلام أصحابه لهول المصاب وروعة الرزية وحق لها ان تطيش، فُقِد الحبيب الذي كان أحب إليهم من أنفسهم وكان بين أظهرهم يأمرهم وينهاهم، غاب عنهم فلا يلقونه إلى يوم القيامة وارتجّت جنبات المدينة[1].

---

[1]- سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شخصيته وعصره -علي محمد الصلابي دار المعرفة بيروت ط.د2006 ص66

[2]- أسيف من الأسف وهو شدة الحزن والمراد أنه رفيق القلب

[3]- المرجع السابق ص113

[4]- أسحر الرئة-النحر:الثغرة في أسفل العنق

[5]- الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبو بكر الصديق علي محمد الصلابي ص 114

وقال القرطبي مُبيّنا عظم هذه المصيبة وما ترتّب عنها من أمور من أعظم المصائب المصيبة في الدين قال ﷺ :"**إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُم مُصِيبَة فَلْيَذْكُر مُصَابَهُ بِي فَإِنَّهَا أَعْظَمُ المَصَائِب**"[2]

وصدق رسول الله ﷺ لأنَّ المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم بعده إلى يوم القيامة[3]. ثم جاء بطل الشَّدائد أبو بكر وكان بردا وسلاما على الأفئدة. لم يذهب هَول النَّازلة بِلُبّه و لم تُنسِهِ النّازلة على شدتها ما عرف من الحق ودخل على رسول ﷺ في بيت عائشة والنّبي مسجي في ناحية البيت عليه بُرد فأقبَل أبو بكرٍ على الناس فقبَّلَه وقال :"**بأبي أنتَ وأمّي**" ثمّ خرج وعمر يُكلِّم النّاس وأقبل أبو بكر على الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال :"**يا أيها النّاس من كان يعبُد محمّدا فإن محمَّدا قد مات ومن كان يعبُد الله فإن الله حيٌ لا يموت**" ثم تلى قول الله ﷻ ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُل أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِل انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُم وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّه الشَّاكِرِين**﴾[4] و دُفِن رَسُولُ الله ﷺ في المكان الذي مات فيه وهبَّت بعد موته الفتن وارتدّت العرب[5].

اجتمعت الأنصار الى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا مِنّا أمير ومِنكم أمير فذهب إليهم أبوبكر وعمر وأبو عبيدة فذهب عمر يتكلّم فاسكته أبو بكر فكان عمر يقول :"والله ما أردت بذلك الا أني هيأت كلاما أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر فتكلم فأبلغ فقال في كلامه نحن الأمراء وأنتم الوزراء فقال الخباب بن المنذر: "لا والله لا نفعل أبدا منّا أمير ومنكم أميرا .فقال أبوبكر لا ولكنّا الأمراء وأنتم الوزراء قريش أوسط العرب دارًا وأعزُّهم أحسابا فبايِعوا عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة فقال عمر :"بل نُبايِعك أنت خيرُنا وسيِّدنا وأحبُّنا إلى رسول الله ﷺ[6].

وقيل للأنصار :"يا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَ أَبَا بَكْرٍ أَن يَؤُمَّ النَّاسَ فَأَيُّكُم تَطِيبُ نَفْسُه أَنْ يَتَقَدَّمَ أَبَا بَكْر ؟.فقالت الأنصار :"نعُوذ بالله أن نَتَقدّمَ أَبا بَكر ثُمَّ بَادَرَ عُمَر رَضِيَ الله عَنه وقال لأبي بَكر أُبْسُط يَدَك فَبَسَطَ يَدَه فَبَايَعَه وَ بَايَعه المُهَاجِرُونَ ثُمَّ الأَنْصار[7].

---

[1]- رجال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في فريق الدعوة :أحمد بن يوسف القاضي ص 21

[2]- سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني :منشورات المكتب الإسلامي

[3]- الإنشراح ورفع الضيق في سيرة أبو بكر الصديق علي محمد الصلابي ص 115

[4]- سورة آل عمران الآية 144

5- المرجع نفسه ص 116

6- سيرة أعلام النبلاء – شمس الدين محمد بن أحمد مكتبة الصفاط 01 2003 ص10

7- سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شخصيته وعصره علي محمد الصلابي ص 68

وعندما كان يوم الثلاثاء جلس أبو بكر على المنبر فقام وتكلّم مثل أبي بكر، فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال "أيّها الناس أني كنت قلت لكم بالأمس مقالةً ما كانت وما وجدتُها في كتاب الله ولاَ كانت عهدا عهِدَهُ إليَّ رسول الله ﷺ ولكني قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيُدَبِّر أمرنا، يقول يكون آخرنا وإنّ الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى الله رسولّه ﷺ فإن اعتصمتُم به هداكم الله ممّا كان هداه به وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ ثانيَ اثنين إذ هما بالغار فقوموا فبايِعوا .فبايَع الناس أبا بكر بيعته العامّة بعد بَيعة السقيفة[1]. فكان عمر رضي الله عنه يدور ويقوي ويشجع الناس على بيعة أبي بكر حتى جمعهم الله وأنقدهم من الاختلاف والفرقة والفتنة وهذا الموقف الذي وقفه عمر مع الناس من أجل جمعهم على إمامة أبي بكر موقف عظيم من أعظم مواقف الحكمة التي ينبغي أن تسجَّل بماء من ذهب[2]. فلمّا استخلف أبو بكر نظر فإذا الأرض من حوله كافرة وإذا أولوا القوة والبأس من أصحابه قد جُنِّدوا بهذا الجيش المهيَّأ للغارة على أطراف الشّام الذي أوصى النبي قبل وفاته بإنقاذه إلى غايته. فأبو بكر إذًا أمام نار مضطربة في الجزيرة العربية كلِّها وهو بين اثنين :إما أن ينقذ هذا الجيش فيواجه هذه النار المتأجّجة غير قادر على إخمادها ’وإما أن يؤجل إنقاذ هذا الجيش حتى يحاول إخماد هذه النار فيبطأ من انفاذ وصية النبي ﷺ[3].

[1]- محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الامام يوسف بن الحسن بن عبد الهادي الدمشقي دار أضواء السلف ط 01- 2000 ص 66

[2]- البداية والنهاية أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي .دار الريان القاهرة ط 1- 1988 ص 244

[3]- الخلفاء الراشدون طه حسين دار الكتاب اللبناني بيروت مج04 الطبعة 01-1973

المبحث الثالث:

الوجه الجديد في تشكُّل الحضارة العربية الإسلامية

الخلافة الراشدة أو الخلافة الراشدية أو دولة الخلفاء الراشدين هي أول دول الخلافة الإسلامية التي قامت عقب وفاة الرسول محمد ﷺ يوم الإثنين 12 ربيع الأول من سنة 11 هـ وهي دولة الخلافة الوحيدة التي لم يكن الحكم فيها وراثيا بل قائم على الشُّورى عكس دول الخلافة التالية التي كان الحكم فيها قائما على التوارث. توالى على حكم الدولة أربعة خلفاء من كبار الصحابة رضوان الله عليهم وجميعهم من العشرة المبشرين بالجنّة وفق المعتقد الإسلامي السُّنِّي تحديدا وهم :أبو بكر الصِّديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفّان وعلي بن أبي طالب اشتهر الخلفاء الراشدون بالزُّهد والتّواضع وعاشوا حياتهم دون أي أُبَّهة[1].

بلغت الخلافة الراشدة أوجَّ اتساعها خلال عهد الخليفة الثالث عُثمان بن عفّان فامتدّت أراضيها من شبه الجزيرة العربية إلى الشام فالقوقاز. وبهذا تكون الدولة قد استوعبت كافة أراضي الامبراطورية البيزنطية وقد وقعت أغلب الفتوحات الاسلامية في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب .وأخذت القبائل العربية تتوطن في البلاد الجديدة وتعجل على نشر الاسلام بين اهلها .فأصابت في ذلك نجاحا كبيرا حيث انشقت الاغلبية الساحقة من أهالي تلك البلدان وكان اتّساع الدولة سببا في جعل العرب يقتبسون لأول مرّة النظم[2].

ولقد سارت دولة الخلافة الراشدة بمنهج يعمل على تحقيق التوازن بين مواردها ومصارفها .وكانت حاصلاتُها تأتيها عن طريق الزكاة، العشور، الجزية، والأخماس، والغنائم العسكرية.

أمّا الزكاة فهي المبلغ السنوي الذي يتوجب على كل مسلم أن يدفعه بحال تخطت ثروته سُنَّة معينة .وهي فريضة على كل مسلم وهي من فرائض الإسلام. أمّا الخراج فهي الضريبة المفروضة على الأرض التي فتحها المسلمون عنوة أي بالسيف ولم تقسم بين الغانِمين[3].

كما اعتمدت دولة الخلافة الراشدة على العشور وهي ما يقابل الجمارك او الضرائب على التجار في الزمن المعاصر و أول من اعتمدها عمر بن الخطاب.

وقد كانت الغنائم العسكرية إحدى موارد الدولة الإسلامية الرئيسية فقد أصاب المسلمون نجاحا كبيرا في فتوحاتهم وحادوا بغنائم عظيمة في مقدمتها غنائم قصور فارس وإيوان كسرى.

---

[1]- مروج الذهب ومعادن الجوهر أبو الحسن علي بن الحسين .المكتبة العصرية .بيروت 2005.ص 24

[2]- تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة- جلال الدين السيوطي. المكتبة التجارية القاهرة 1952 ص 177

[3]- فتوحات البلدان أبو العباس احمد بن يحي بن جابر دار الكتاب العلمية بيروت ج1ص115

وقد عرف المسلمون نظام بيت المال منذ عهد النبي ﷺ فقد كان النَّبي يعين أمراء وعمال الأقاليم وكانت مهمة كل أمير أن يقوم بجمع الصدقات ،والجزية وأخماس الغنائم والخراج وفي عهد عمر بن الخطاب نظر المسلمون إلى تنظيم الجهاز المالي للدولة تنظيما أدق وأشمل بسبب توسع الفتوحات وتدفق الأموال على العاصمة وازدياد عدد المسلمين بما فيهم من تجب عليه الصدقة فأمر عمر على الفور بوضع الدواوين على غرار دولتي الروم والفرس ،وقد كان الخلفاء الراشدون يفصلون بين الإدارتين السياسية والمالية فقد عين عمر بن الخطاب عمارَ بن ياسر على إمارة الكوفة وكان ينال أهل الكتاب من الذين يتطوعون في الخدمة بالجيش الإسلامي أجرتهم من بيت المال[1].

كان النظام المالي القائم في بداية العهد الراشدي هو نفس النظام الذي ساد في صدر الإسلام وهو نفسه الذي ساد أيام الجاهلية وأقرّه النبي ﷺ وسار عليه أبو بكر ثم عمر في بداية عهده ولكن عندما اصطدمت الخلافة الإسلامية بدول ذات أنظمة نقدية ثابتة في فارس والشام ومصر أصبح من الضروري التعامل مع تلك الأنظمة بنظام نقدي ثابت بدوره ،فأظهرت الحاجة ضرورة وجود عملات تضربها الدولة الإسلامية فظهرت عملات عمر بن الخطاب وقد بقيت في عصره النقود الفضية والذهبية وكانت متداولة وعليها نقوش بيزنطية مسيحية أو فارسية ولكن أضاف إلى هذه النقود كلمة "جائز" ليميزها عن النقود الزائفة.

ولقد كان المجتمع الإسلامي متماسكا بقوة في بداية عصر الخلافة الراشدة، وكان الناس راضين عن الحكم[2]. وكانت الدولة في هذه الفترة لازالت متواضعة اقتصاديا، فقد عاش سكانها حياة بسيطة، وانشغلوا بالقتال والفتوحات عوضا عن تحسين ظروفهم المعيشية، إلا أن المال بدأ يكثر بعد ذلك نتيجة الفتوحات، خصوصا في عهد عثمان فارتفعت معيشة الناس وأصبحوا أكثر تطلبا[3]. ومع توسع الدولة وازدياد وتيرة الفتوحات ،أخذت التركيبة السكانية بالتغير إذ استقر كثير من العرب والمسلمين الفاتحين في البلاد المفتوحة حديثا، فأقاموا فيها واختلطوا بسكانها، ومن جهة أخرى قلّ سكان شبه الجزيرة العربية من العرب المسلمين إذ توجه كثير منهم إلى الأمصار الجديدة للقتال أو غيره ،خصوصا سكان المدينة .

وبصورة عامة التزم الخلفاء الراشدون من تعاملهم مع غير لمسلمين وغير العرب من سكان الجزيرة العربية والأقاليم المفتوحة نفس أسلوب الرسول ﷺ وذلك بضمان حقوقهم وكفل حرياتهم ،ويؤيد ذلك الكثير

[1]- الدولة العربية الإسلامية الأولى- حسام محمد دار النهضة العربية بيروت ط3 ص 253

[2]- التاريخ الإسلامي محمود شاكر المكتب الإسلامي دمشق ج03-2000 ص231

[3]- المرجع نفسه ص 264

من الباحثين المسلمين ،إضافة إلى عدد المستشرقين والباحثين الأوربيين ،وقد كان العاجزون والفقراء من غير المسلمين في الأماكن المفتوحة يُعفَون من الجزية وأحيانا كانت تتم إعانتهم بأعطيات من بيت مال المسلمين.

وكان أبو بكر يأمر قادة الفتوحات بألا يتعرضوا لأماكن عبادة غير المسلمين ولا يضايقوا أهلها كما أعطى قادته العسكريين عدّة توصيات أخرى لإحسان معاملة أهل الشام غير المسلمين عند فتحها فقال "أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني لا تخونوا ولا تغلوا ، ولا تغدروا ،ولا تُمَثِّلوا ،ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ،ولا تقطعوا شجرة مثمرة ،ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكله، وسوف تمرون بأقوام قد فزعوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرّعوا أنفسهم له"[1] وكذلك خطب عمر عند دخوله القدس فاتحا معطيا أهلها الأمان وكافلا حرياتهم الدينية ،وكتب عمر بن العاص في عهده لأهل مصر بعد فتحها "هذا ما أعطى عمر بن العاص أهلَ مصر من الأمان على أنفسِهم وملّتهم وأموالِهم أو كنائسهم وصُلبهم وبَرّهم وبحرهم لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولاينتقص ولا يساكنهم النوب"[2]

كان عمر بن الخطاب أوّل من نظم الجيش الإسلامي تنظيما حديثا بعد أن رأى ضرورة ذلك بفعل انتشار رفعة الإسلام وأدرك أهمية الجيش في نشر الإسلام حتى أقصى الأصقاع المعروفة، بذلك أوجد فرقا نظاميةً تقدَّر كل منها بأربعة آلاف فارس لترابط كل بلد من البلدان الداخلية ضمن الحظيرة الاسلامية[3]. وهذا يعني تأسيس جيش نظامي ثابت يقدر باثنين وثلاثين ألف فارس عدى المشات والمتطوعين ممَّا يكفل حماية الدولة ونظم الرتب في الجيش على أساس عشري فكان "أمير الجيش "على رأس عشرة آلاف عسكري أو أكثر بقليل ،"وأمير الكردس" على ألف و"القائد" على مائة[3]. وقد كان الجيش الإسلامي في عهد الخلفاء الراشدين يتسلّح بأسلحة عهده المألوفة وفي مقدمتها السيوف العربية القصيرة والسيوف الفارسية الطويلة والرماح والقسي والسهام[4]. وبعض هذه الأسلحة حصل عليها العرب عبر التجارة مع الشام والعراق وفارس وبعضها الآخر كان غنيمة المعارك مع الروم والفرس وكان المشاة أكثر الجنود تدرعا, وارتدوا في بداية عهدهم الجلد القاسي المصنوع محليا في شبه الجزيرة العربية ثم تحولوا الى ارتداء دروعٍ سلسلية يحتمل أنها كانت من الغنائم. وقد كان في عصر الخلفاء الراشدين القتال في البحر والبرّ فالبحر كان في الأساطيل البحرية وكان عمر بن الخطاب يكره ركوب البحر ونهى قادة جيشه عن القتال فيه[5]. ولقد لمعت أسماء عدّة قادة عسكريين

---

[1]- الكامل في التاريخ ابن الاثير علي بن احمد دار صادر بيروت ح02 1967 د ط ص 350

[2]- سيرة امير المؤمنين عمر بن الخطاب شخصيته وعصره .محمد علي صلابي .دار المعرفة بيروت د ط 2006

[3]- فتوح البلدان. أبو عباس ص163

[4]- المرجع نفسه ص 214

[5]- الدولة العربية الإسلامية الأولى. عصام محمد. دار النهضة العربية

في الجيش الإسلامي الرّاشدي وحُفظ ذكرهم في التاريخ إلى جانب الفاتحين الكبار قديما مثل الإسكندر الأكبر وحنبعل ويوليوس قيصر واغسطس قيصر.

ومنهم في العصر الإسلامي خالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجراح وعَمر بن العاص وسعد بن أبي وقاص وهم الذين أظهروا من النبوغ والمهارة في قيادة الجيوش وفنون الحرب ما دفع المؤرخين إلى وضع أسمائهم الى جانب أسماء الفاتحين الكبار

الفصل الثاني

أبو بكر الصديق

رضي الله عنه

الفصل الثاني

أبو بكر الصِّدِّيق –رضي الله عنه-

- خلافته رضي الله عنه
- دور الخليفة في تشكيل حضارة وأهم الإنجازات التي ساهمت في قيام الحضارة
- أهم الدروس والعبر والقواعد من خلافته رضي الله عنه .

المبحث الأول :

خلافته رضي الله عنه

الخلافة والإمامة العظمى، وإمارة المؤمنين ثلاث كلمات معناها واحد وهو رئاسة الحكومة الإسلامية الجامعة لمصالح الدّين و الدّنيا.

قال العلاّمة الأصولي المحقق السعد التفتزاني في (متن مقاصد الطّالبين في علم أصول عقائد الدين)." ففي الإمامة وهي رئاسة عامّة في أمر الدّين والدّنيا خلافة عن النبي ﷺ [1]

وقال العلاّمة الفقيه أبو الحسن علي بن محمد الماوردي "الإمامة موضوعة بخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا "[2]

وكلام سائر علماء العقائد والفقهاء من جميع مذاهب أهل السُّنة لا يخرج عن هذا المعنى إلا أن الإمام الرازي زاد فبدأ في التعريف فقال "هي رئاسة عامة في الدّين والدّنيا لشخص واحد من الأشخاص " وهناك آيات كثيرة تدلّ على أنه توجد خلافة :مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[3] وقال أيضا ﷻ : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[4] وقوله أيضا جل وعلا :﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[5]

والخلافة عهد بين الخليفة ورعيته، قوامه أن يلزم الخليفة نفسه أن يعمل بكتابِ الله وسنّة رسوله، وأن ينصح للمسلمين ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وأن يطيع المسلمون أوامر الخليفة ويتجنّبوا ما ينهى عنه في هذه الحدود ،فإن نكث الخليفة عهده فسار في المسلمين سيرة ينحرف بها عن كتاب الله وعن سُنَّة رسوله ،وكما التزم من النُّصح للمسلمين فلا طاعة له على رعيَّتِه، ومن حق هذه الرعية أن تطالبه بالوفاء بما أعطى على نفسه من عهده ،فإن استقام فذاك وإلاّ فللمسلمين أن يَبْرَءُوا منه وأن يلتمِسوا لهم خليفة غيره، وإذا بغى بعض الرَّعية فنقض عهده الذي أعطاه للخليفة بالسَّمع والطاعة وجب على الخليفة أن يُراجعه في ذلك، فإن أفاء إلى أمر الله وأوفى بالعهد فذاك وإن أبى وجب على الخليفة أن يقاتله حتى يَفيء إلى أمر الله. ومن أجل

---

[1]- الخلافة رشيد رضا .دار موضع للنشر 1992 ص 16.

[2]- الأحكام السلطانية والولايات الدينية .الماوردي .أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري دار الحديث القاهرة د.ط.د.ت.ص204.

[3]- سورة البقرة الآية 124

[4]- سورة النور الآية 55

[5]- سورة الأنعام الآية 165

ذلك كله قال أبو بكر في خُطبته التي تروى عنه إثر بيعته "**إِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي وَإِنْ أَسَأْتُ فَقَوِّمُونِي**"[1] وَالخلافة الإسلامية هي المنهج الذي اختارته الأمة الإسلامية وأجمعَت عليه طريقةً وأسلوبا للحكم تنظم من خلاله أمورها وترعى مصالحها ،وقد ارتبطت نشأة الخلافة بحاجة الأمَّة لها، ومن ثَم كان إسراع المسلمين في اختيار خليفة لرسول الله ﷺ. يقول الإمام الماوردي إن الله جلّت قدرته ندب للأمَّة زعيما خلف به النبوَّة وحاط به الملَّة ،وفوَّض إليه السِّياسة بصدر التدبير عن دين مشروع، فكانت الإمامة أصلا عليه استقرت قواعد الملَّة وانتظمت به مصالح العامَّة حتى استبانت الأمور العامّة ،وصدرت عنه الولايات الخاصّة [2]

ولما كانت الخلافة هي نظام حكم المسلمين ،فقد استمدت أصولها في دستور المسلمين، من القرآن الكريم ومن سنة النبي صلى الله عليه وسلم ،وقد تحدث الفقهاء عن أسس الخلافة الإسلامية فقالوا بالشورى والبيعة، وهما أصلا قد أُشِيرَ إليهما في القرآن الكريم [3].وقد قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[4] وقال ﷺ :"**مَنْ خَلَعَ يَدًا فِي طَاعَةَ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ القِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةَ الجَاهِلِيَّة** "[5] وبعد وفاته ﷺ توافد المسلمون على الاتفاق على إمام أو خليفة .

وقد تحدث العلامة أبو الحسن الندوي عن شروط خليفة النّبي ومتطلباتها بالأدلّة والحجّة من خلال سيرة الصِّدّيق بأنَّ أبا بكرٍ كانت شروط الخليفة متحققة فيه ونذكر بعض هذه الشروط :

1- يمتاز بأنه ظلَّ طوال حياته بعد الإسلام متمتّعا بثقة رسول الله ﷺ به وشهادته له .
2- يمتاز هذا الفرد بالتَّماسك والصُّمود في وجه الأعاصير والعواصف التي تكاد تقصف في جوهر الدين ولبّه، وتحبط مساعي صاحب رسالته.
3- يمتاز هذا الفرد في فهمه الدقيق للإسلام، ومعايشته له في حياة النبي ﷺ على اختلاف أطواره وألوانه من سلم و حرب.
4- يمتاز بشدَّة غيرته على أصالة هذا الدّين وبقاءه على ما كان عليه في عهد نبيه غيرة أشدَّ من غيرة الرِّجال على الأعراض والكرامات

---

[1]-التاريخ الإسلامي .راغب السرجاني .ص 62

[2]-الأحكام السلطانية للموارد .ص 3

[3]-عصر الخلفاء الراشدين .د .فتيحة عبد الفتاح النبراوي .دار السعودية .ط 3 .1994 ص 23

4- سورة النساء الآية 59

5-صحيح مسلم

وقد اجتمعت هذه الصفات والشُّروط كلّها في سيّدنا أبي بكر رضي الله عنه وتطبيقا للمبدأين الشورى والبَيعة قرَّر اجتماع السقيفة اختيار أبي بكر ليكون الخليفة الأول للدولة الإسلامية [1]

وتعدُّ حياة أبو بكر –رضي الله عنه– هي الصفحة الثانية في التاريخ الإسلامي الذي بهَر كل تاريخٍ بعده، ولم تحو تواريخ الأمم مجتمعة بعض ما حوى من الشَّرف، والإخلاص ،والمجد [2].

خليفة رسول الله ﷺ اسمه عبد الله ،ويقال عَتِيق بن قُحَافَة عثمان بن عامر بن عمر بن كَعب بن سَعد بن تَيْم بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَي القُرَشي التَّيْميّ رضي الله عنه [3].

وقد عُرف في الإسلام بالصِّدِّيق .ليلة أُسرِيَ برسول الله ﷺ وجاء نفر من المشركين يسعَون الى أبي بكر لعلّه يتخلَّى عن الدَّعوة التي آمن بها قالوا له :"إنَّ صَاحِبكَ يَزْعُم أنَّه أُسْرِيَ إلى المقدس قال: أوَ قَد قال ذَلِك. قالوا نعم قال "لإن قَالَ ذلِك قَد صَدَق. قالوا: تُصَدِّقُه أنَّه ذَهَبَ إِلَى بَيْتِ المَقْدِس وعَاد قَبْلَ أَن يُصْبِحَ! قال نَعَم إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِي مَا أَبْعَدَ مِنْ ذَلِك مِن خَبَرِ السَّمَاء". إنّه الصِّديق " رضي الله عنه إنه آمن برسول الله ﷺ وصدَّقه ولازم التّصديق ولم تحصل منه هنات منذ آمن .وقال أبو محجم الثقفي رضي الله عنه :

وَسُمِّيتَ صِدِّيقًا وَكُلّ مُهَاجِـــر سِوَاكَ يُسَمَّى بِاسْمِهِ غَيْرَ مُنَكَّل
سَعَيْتَ إِلَى الإِسْلَامِ وَاللهُ شَاهِدٌ وَكُنْتَ جَالِسًا فِي العَرِيشِ المُشَهَّر

وقال الأصمعي :

وَلَكِنِّي أُحِبُّ بِكُلِّ قَلْبِـــي وَأَعْلَمُ أَنَّ ذَاكَ مِنَ الصَّوَابِ
رَسُولُ اللهِ وَالصِّدِّيقُ حُبًّا بِهِ أَرْجُو غَدًا حُسْنَ الثَّوَابِ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما رجع رسول الله ﷺ ليلة أُسرِيَ به قال :"**إِنَّ قَوْمِي لَا يُصَدِّقُونِي** قال :يصدقك أبو بكر وهو الصِّدِّيق ،وعن أنس بن مالك أن النّبي صعد أُحُدًا وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال :"**اثْبُتْ أُحُد فَإِنَّ عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَان**" وعند الشدائد تختبر عزائم الرجال ،وقدرة الأقوياء على الصبر والتّحمل والمصائب محك الرجال ،لما تُوُفِّيَ ﷺ ظهرت عزيمة أبي بكر وقدرته على تحمل الصدمة [4].

---

[1]- الإنشراح ورفع الضيق في سيرة أبو بكر الصديق .علي محمد الصلابي .ص 137

[2]-رجال مع الرسول صلى الله عليه وسلم في طريق الدعوة أحمد بن يوسف .ص 23

[3]-سيرة أعلام النبلاء .شمس الدين محمد بن أحمد .ص 3

[4]- رجال مع الرسول صلى الله عليه وسلم في طريق الدعوة أحمد بن يوسف .ص 32

ويعد أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وقالت الشّيعة وكثير من المعتزلة هو علي وهؤلاء جوّزوا إمامة المفضول مع وجود الفاضل ،وحجّتهم أن قيام عليّ بالجهاد كان أكثر من قيام أبي بكر فوجب أن يكون عليٌّ أفضل منه.

وأجاب أهل السُّنة عنه أن الجهاد على قسمين :جهاد بالدعوة إلى الدّين وجهاد بالسّيف ومعلوم أنّ أبا بكر رضي الله عنه جاهد في الدّين لأول الإسلام بدعوة الناس إلى الإسلام ،وحُجّة القائلين بفضل أبي بكر رضي الله عنه عن قوله ﷺ "**مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ ،وَلَا غَرُبَت عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ النَّبِيّين وَالمُرسَلِينَ أَفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْر**".

وهناك أحاديث كثيرة أشارت إلى خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه شهيرة و متواترة ظاهرة الدلالة إمّا على وجه التصريح أو الإثارة ومن تلك الأحاديث [1]

عن جُبير بن مطعم قال أتت امرأة النبي ﷺ وَأَمَرَهَا أَن تَرْجِعَ إِلَيْهِ ،قالت أرأيْتَ إِنْ جِئتُ وَلَم أَجِدْكَ كَأَنَّهَا تَقول المَوت قَال ﷺ "**إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ**" عن حذيفة قال :"كُنَّا عِنْدَ النَّبِيّ ﷺ جُلُوسًا فقال "**إِنِّي لَا أَدْرِي مَا قَدْرُ بَقَائِي فِيكُم فَاقْتَدُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي** فَأَشَارَ إلى أبي بكر وعمر **وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ عمار وَمَا حَدَّثَكُم ابنُ مَسْعُود فَصَدِّقُوه** "[2].

وأخرج الشيخان عن أبي سعد رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ "**إِنَّ مِنْ أَمَنّ النَّاسِ عَلَيّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبو بَكْر، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ،وَلَكِنْ إَخْوَةُ الإِسْلَام** "[3] وقالت عائشة رضي الله عنها :قال لي رسول الله ﷺ في مرضه "**أُدْعُوا لِي أَبَا بَكْر وَأَخَاكِ حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ وَيَقُولَ قَائِلٌ :أَنَا أَوْلَى، وَيَأْبَى اللهُ وَالمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْر**"[4] وقد دلّ هذا الحديث دلالة واضحة على فضل الصِّدّيق رضي الله عنه حيث أخبر النبي ﷺ بما يحل في المستقبل بعد التحاقه بالرفيق الأعلى وأنّ المسلمين يأبون عقد الخلافة لغيره رضي الله عنه وفي الحديث أنه سيحصل نزاع، ووقع كلُّ ذلك كما أخبر عليه الصلاة والسلام ثم اجتمعوا على أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

يظهر لنا جليًّا أن المصطفى ﷺ يأمر المسلمين بأن يكونَ الخليفة عليهم مِن بعده أبو بكر رضي الله عنه وإنما دلَّهم عليها بإعلام الله سبحانه وتعالى له بأنّ المسلمين سيختارونه لِمَا له من الفضائل العليا التي ورد بها القرآن والسُّنَّة ووافق عليها من جميع الأمة المحمدية رضي الله عنه وأرضاه .

المبحث الثاني :

دور الخليفة في تشكيل حضارة وأهم الإنجازات التي ساهمت في قيام الحضارة

---

[1]- الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبو بكر الصديق .علي محمد الصلابي .ص 137

[2]- الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبو بكر الصديق .علي محمد الصلابي .ص 130

[3]-تاريخ الخلفاء. جلال الدين السيوطي .المكتبة العصرية .بيروت .د.ط 2003 ص 62

3-صحيح مسلم

[4]-المرجع السابق ص 169

لقد كان أول عمل قام به أبو بكر الصّدّيق بعد مبايعتِه هو التّصدي لأهل الردة ومُدَّعي النبوَّة ،فلم يَكَد نبأ وفاة النبي ﷺ ينتشر في بلاد العرب حتى اشعلت الفتنة في كل أنحاء شبه الجزيرة العربية بأشكال مختلفة وقد كان أشدّ خطرين من المرتدّين هما مسيلمة الكذاب وطليحة الأسدي ،وبعد القضاء عليهما أخذت حركات الرِّدَّة الأخرى تتساقط الواحدة تلوى الأخرى حتى انتهت كليًّا وأخذ أبو بكر يستعد لمواجهة الرّوم والفرس في الشّام والعراق بعد أن أعاد توحيد العرب تحت راية الإسلام .

وكان العمل الآخر الأبرز الذي قام به أبو بكر قبل توجيه الجيوش نحو الشام والعراق هو جمع القرآن فقد أدّت حروب الردة إلى مقتل عدد كبير من الصحابة من قُرَّاء القرآن وحُفَّاظه، فأشار عمر بن الخطاب على أبي بكر أن يجمع الآيات المكتوبة على الورق وعلى الجلد وعلى ورق الشجر وعلى الحجر الأبيض وعلى العظام وتلك المحفوظة في صدور الصحابة في مصحف واحد خوفا من موت صحابة آخرين فتضيع بعض الآيات .[1]

ويروي لنا البخاري القصة بسنده إلى زيد بن ثابت الذي قال :"أَرسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكر بَعْدَ مَقتَلِ أَهْلِ اليَمَامَة وَعِندَه عُمَر فَقَالَ لِي أَبُو بَكْر :إِنَّ عُمَر أَتَانِي فَقَالَ :إِنَّ القَتْلَ قَدِ اسْتَحَرَّ يَومَ اليمَامة بِالنَّاسِ وَإِنِّي أخشَى أَنْ يَستحِرَّ القَتْلُ بِالقُرَّاء فِي المَوَاطِن كُلِّهَا، فَيَذهَبَ كَثِيرٌ مِنَ القُرآنِ إِلَّا أَن تَجْمَعُوه وَإِنِّي لأَرَى أَن يُجمَعَ القُرْآن .

قال أبو بكر فَقُلتُ لِعُمَر كَيفَ أَفْعَل شَيْئًا لَم يَفعَلْهُ رَسُولُ الله ﷺ[2]

فقال: هُوَ وَاللهِ خَيْر فَلَم يَزَل يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللهُ لِذَلِكَ صَدْرِي وَرَأَيْتُ الَّذِي رَأَى عُمَر.

قال زيد: وَعِندَه عُمَر جَالِس لَا يَتَكَلَّم، فَقَال لِي أَبُو بَكر إِنَّكَ لَرَجُلٌ شَابّ عَاقِل لَا نَتَّهِمُك، كُنتَ تَكْتُب الوَحْي لِرَسُولِ الله ﷺ فَتَتَبَّع القُرآنَ فَاجْمَعه.

قال زيد: فَوَ اللهِ لَو كَلَّفني نَقل جَبَل مِنَ الجِبَال ما كَان أَثقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِن جَمعِ القُرآن، فقلتُ : كَيفَ تَفعلان شَيْئًا لَم يَجعَلْه رَسولُ الله ﷺ.

فقد استعان بالحفَظة الكرام من صحابة النبي ﷺ ووضع خُطّة مثالية دقيقة، فلم يعتمد على حفظه –وإنَّه لحافظ- ولا على حفظ مَن استعان بهم وإنَّهم لحُفّاظ أمناء ولكنه كان لابد أن يعتمد على أمر مادي، يرى بالحسّ لا يحفظ بالقلب وحده فاشترط شرطين :

الشرط الأول: أن يرى ما يحفظه الصحابي من القرآن مكتوبا في عصر النّبي ﷺ.

---

[1]-الدولة العربية الإسلامية الأولى .عصام محمد ط.عن دار النهضة العربية بيروت. ط 3. 1995 .ص 253

[2]-التاريخ الإسلامي راغب المرجاني ص 74

الشرط الثاني: أن يشهد شاهدان بأنهما هكذا رأوا ذلك المكتوب في عصر النبي ﷺ وبإملائه عليه السلام[1].

وقد تتبَّع زيد القرآن يجمعه من الرِّقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجد من سورة التوبة آيتين مع خزيمة بن ثابت ولم يجدهما مع غيره ﴿لَقَد جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾[2]

لما أتمَّ زيد ما كتب تذاكره الناس وأقروه فكان المكتوب متواترا بالكتابة ومتواترة بالحفظ في الصدور، ما تمَّ هذا الكتاب في الوجود غير القرآن.... وحفظ الله قرآنه من الضَّياع كما وعد سبحانه تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾[3]، ولكنَّه حفظه على أيدي رجال عاشوا للإسلام وانشغلوا به في كل لحظة من حياتهم[4].

لقد كان مصدر التّشريع في دولة الصدّيق قائما على مبدأ لقرآن والسُّنّة النبوية الشريفة، قال أبو بكر رضي الله عنه: "أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللهَ وَرَسُولَه، فَإِن عَصَيْتُ اللهَ وَرَسُولَه فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُم" فمصدر التشريع عند الصديق.

1-القرآن الكريم: قال ﷻ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾[5]

فالمصدر الأول الذي يشتمل على جميع الأحكام الشرعية التي تتعلق بشؤون الحياة، كما يتضمّن مبادئ أساسية وأحكاما قاطعة لإصلاح كل شعبة من شعب الحياة كما بين القرآن الكريم للمسلمين كل ما يحتاجون إليه من أُسس تقوم عليها دولتهم.

2-السنة المطهرة. هي المصدر الثاني الذي يستمد منه الدستور الإسلامي أصوله ومن خلالها يمكن معرفة الصيغ التنفيذية والتطبيقية لأحكام القرآن. إن دولة الصدّيق خضعت للشّريعة وأصبحت سيادة الشريعة الإسلامية فيها فوق كل تشريع.[6]

قال أبو بكر رضي الله عنه :الضَّعِيفُ فِيكُم قَوِيٌّ عِندِي حَتَّى أُرْجِعَ عَلَيهِ حقَّه إِنْ شَاءَ الله .وَالقَوِيُّ فِيكُم ضَعِيف حَتَّى آخُذَ الحَقَّ مِنهُ ، إِن شَاءَ الله .

---

[1]- التاريخ الإسلامي راغب المرجاني ص75

[2]- سورة التوبة 127

[3]- سورة الحجر الآية 09

[4]- تاريخ الخلفاء جلال الدين الأسيوطي ص88

[5]- سورة الزمر الآية 41

[6]- الإنشراح ورفع الضيق في سيرة أبو بكر الصديق .علي محمد الصلابي .ص 130

إن من أهداف الحكم الإسلامي الحرص على إقامة قواعد النظام الإسلامي التي تساهم في إقامة المجتمع المسلم، ومن أهم هذه القواعد : الشورى ،العدل ،المساواة ،الحريات. إن إقامة العدل بين الناس أفرادًا وجماعاتٍ و دولا، ليست من الأمور التطوعيّة التي تترك لمزاج الحاكم أو الأمير وهواه ،بل إن إقامة العدل بين الناس في الدّين الإسلامي تُعدّ من أحد من الواجبات وأهمها[1]

لقد كان الصِّدّيق رضي الله عنه قدوة في عدله، يأسر القلوب ويهدُّ الألباب ،فالعدل في نظرة دعوة عمَلية للإسلام فيه تفتح قلوب الناس للإيمان، لقد عدَل بين الناس في العطاء وطلب منهم أن يكونوا عونا له في هذا العدل. وعرض القَصاص من نفسه في واقعة تدل على العدل والخوف من الله سبحانه وتعالى وإن الناس جميعا في نظر الإسلام سواسية، الحاكم والمحكوم، الرجال والنساء. العرب والعجم حيث يقول "وُلّيتُ عَلَيْكُم وَلَسْتُ بِخَيْرِكُم فَإِن أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي وَإِنْ أَسَأتُ فَقَوِّمُونِي".

وكان رضي الله عنه يُنفق من مال المسلمين فبعطي كلَّ ما فيه سواسية بين الناس.

وقال أبوبكر الصديق رضي الله عنه: "**الصِّدقُ أَمَانَةٌ وَالكَذِبُ خِيَانَة**[2]

أعلن الصديق رضي الله عنه مبدأ أساسيا نقوم عليه خطته في قيادة الأمة وهو أن الصدق بين الحاكم و الأمة هو أساس لتعامل، وهذا المبدأ السياسي الحكيم له الأثر الهامّ في قوة الأمة. ويعتبر عهد الصِّدّيق بداية العهد الراشدي الذي تتجلى أهميته بصلته بالعهد النبوي وقربه منه، فكان العهد الراشدي عامة والجانب القضائي خاصة، استنادا للقضاء في العهد النبوي .وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقضي بنفسه إذا عرض له قضاء ولم تفصل ولاية القضاء عن الولاية العامة في عهده ولم يكن للقضاء ولاية خاصة مستقلة [3].

وقد كان أبو بكر يستعمل الولاة في البلدان المختلفة ويعهد إليهم بالولاية العامة في الإدارة والحكم والإمامة وجباية الصدقات. وسائر أنواع الولايات وكان ينظر إلى حسن اختيار الرسول للأمراء والولاة على البلدان فيقتدي به في هذا العمل، ولهذا نجده قد أقر جميع عمال الرسول الذين توفي الرسول ﷺ وهم على ولايتهم ويمكن تلخيص أهم مسؤوليات الولاة في عصر أبي بكر وهي :

---

[1]- المرجع نفسه ص 144

[2]- -ترتيب وتهذيب البداية والنهاية، خلافة أبي بكر الصديق محسن بن هامل السلمي .دار الوطن الرياض ط.01 – 1997 .ص.305

[3]- الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبو بكر الصديق محمد علي الصلابي ص.160

- إقامة الصّلاة وإمامة الناس وهي المهمة الرئيسية لدى الولاة نظرا لما تحمله من معاني دينية ودنيوية وسياسية.
- الجهاد: كان يقوم به أمراء الأجناس في بلاد الفتح، فكانوا يتولّون أموره وما فيه من مهامّ مختلفة بأنفسهم.
- إدارة شؤون البلاد المفتوحة، وتعيين القضاة والعمال عليها من قبل الأمراء أنفسهم ،وبإقرار من الخليفة أبي بكر أو تعيين من أبي بكر رضي الله عنه عن طريق هؤلاء العمال.
- كانت هناك أمور مالية تُوكَل إلى الولاة أو إلى من يساعدهم ممن يعينهم الخليفة أو الوالي لأخذ الزكاة من الأغنياء وتوزيعها على الفقراء.[1]
- تجديد العهود القائمة من أيام الرسول ﷺ.
- كانت من أهم مسؤوليات الولاة إقامة الحدود وتأمين البلاد ،وهم يجتهدون رأيهم فيما لم يكن فيه نص شرعي .

وبهذا التعليم كان للولاة دور كبير في نشر الإسلام في ربوع البلاد التي يتولونها وهذا التعليم تثبت أقدام الإسلام سواء في البلاد المفتوحة الحديثة العهد بالإسلام أو في البلاد التي كانت مسلمة وارتدَّت[2].

ولقد انقسمت دولة الخلافة الراشدة في عهد أبي بكر الصديق الى أربع ولايات : الحجاز، نجد، البحرين، عمان، اليمن، العراق والشام وكانت المدينة عاصمة الدولة التي تخضع لإدارة الخليفة المباشرة، فإن تغيَّبَ لسببٍ ما ولّى أحدا مكانه عليها إلى حين عودته ،وكان تقسيم الدولة في عهد أبي بكر أشبه بامتداد للتقسيم الذي تم العمل به في العهد النبوي [3]

[1]- المرجع السابق ص 162

[2]المرجع نفسه ص170

[3]-تاريخ الخلفاء .جلال الدين السيوطي ص .83

المبحث الثالث:

أهم الدروس والعبر والقواعد من خلافته رضي الله عنه .

قد رسمت خلافة الصديق رضي الله عنه أهدافا في السياسة الخارجية للدولة الإسلامية ،والتي كان من أهمها : بذل هبة الدولة في نفوس الأمم الأخرى فقد حققت سياسة الصديق هذا الهدف بطرق عديدة منها وصول أخبار الإنتصارات التي أيد الله بها الأمة المسلمة في حروب الرِّدة مما ساعد على وأدِ هذه الفتنة وتثبيت أركان الدولة ومثل هذه الأخبار تصل إلى الدول المجاورة وهذا له وقعه في نشر هبة دولة الإسلام .

وقد قام الصديق بمواصلة الجهاد لتأمين الدعوة ووصولها للناس، فجهز الجيوش وندب الناس للخروج إلى الجهاد في سبيل الله لنشر دعوة الحق وإزاحة الطواغيت الذين رفضوا دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لهم بالإسلام [1]

وكانت السياسة الخارجية للصديق قائمة على بسط لواء العدل على الديار المفتوحة ونشر الأمن والطمأنينة بين أهلها حتى يحس الناس بالفرق بين دولة الحق ودولة الباطل ووصّى أبو بكر قُواده بالرحمة والعدل والإحسان الى الناس فإن المغلوب يحتاج الى الرأفة وتجنب ما يثير فيه حميَّة القتال وقد حافظ المسلمون الفاتحون على الإنشاء والعمران فشاهدت الشعوب المفتوحة خلقًا جديداً في ذوق رفيع وإنسانية صادقة فقام ميزان الشريعة بين الأمم المغلوبة بالقسط، وانتشر نور الإسلام فأخذ بعدله مجامع القلوب فسارعت الشعوب إلى اعتناق هذا الدين والإنطواء تحت لواءه[2]، وقد كان جند الأعاجم من الفرس والروم إذا وطئوا أرضا دنّسوها ونشروا فيها الرعب وانتهكوا الحرمات مما قاسى منه الناس الويل والثبور، وتناقلت الأجيال قصصه المرعبة والمفزعة جيلا بعد جيل، فلما جاء الإسلام ودخل جنده هذه الديار فإذا بالناس يجدون العدل يبسط رداءه فوق رؤوسهم ،ويعيد إليهم آدميَّتهم التي انتزعها الظلم والطغيان، وقد حرص الصِّديق على هذه السياسة حرصا عظيما وكان يقوم أي عوج يظهر أو خطأ يقع. [3]

---

[1]-تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين .د.يسرى محمد هاني .جامعة أم القرى ط.1 .د.ت.ص 260

[2]-المصدر نفسه ص 261 .

[3]-التاريخ الإسلامي .راغب المرجاني ص 167

وقد قام الصديق بمواصلة الجهاد لتأمين الدعوة ووصولها للناس، فجهز الجيوش وندب الناس للخروج إلى الجهاد في سبيل الله لنشر دعوة الحق وإزاحة الطواغيت الذين رفضوا دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لهم بالإسلام [1]

وكانت السياسة الخارجية للصديق قائمة على بسط لواء العدل على الديار المفتوحة ونشر الأمن والطمأنينة بين أهلها حتى يحس الناس بالفرق بين دولة الحق ودولة الباطل ووصّى أبو بكر قُواده بالرحمة والعدل والإحسان الى الناس فإن المغلوب يحتاج الى الرأفة وتجنب ما يثير فيه حميَّة القتال وقد حافظ المسلمون الفاتحون على الإنشاء والعمران فشاهدت الشعوب المفتوحة خلقًا جديداً في ذوق رفيع وإنسانية صادقة فقام ميزان الشريعة بين الأمم المغلوبة بالقسط، وانتشر نور الإسلام فأخذ بعدله مجامع القلوب فسارعت الشعوب إلى اعتناق هذا الدين والإنطواء تحت لواءه[2]، وقد كان جند الأعاجم من الفرس والروم إذا وطئوا أرضا دنّسوها ونشروا فيها الرعب وانتهكوا الحرمات مما قاسى منه الناس الويل والثبور، وتناقلت الأجيال قصصه المرعبة والمفزعة جيلا بعد جيل، فلما جاء الإسلام ودخل جنده هذه الديار فإذا بالناس يجدون العدل يبسط رداءه فوق رؤوسهم ،ويعيد إليهم آدميَّتهم التي انتزعها الظلم والطغيان، وقد حرص الصِّديق على هذه السياسة حرصا عظيما وكان يقوم أي عوج يظهر أو خطأ يقع. [3]

ومن المعالم السياسية الخارجية عند الصِّديق رضي الله عنه رفع الإكراه عن الأمم المفتوحة، فلم يكره أحداً من الأمم أو الشعوب على دينهم بالقوة وهو في هذا ينطلق من قول الله ﷻ: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [4] والمسلمون أرادوا من الفتحات إزالة الطغاة وفتح الأبواب أمام الشعوب لترى نور الإسلام .

وقد تتجلى أهم العبر من معالم التخطيط الحربي عند الصِّدِّيق رضي الله عنه إذ أن المُطالع للفتوحات في عهده رضي الله عنه يمكن له أن يستنتج خطوط رئيسية للخطَّة الحربية التي سار عليها وكيف تعامل هذا الخليفة العظيم مع سنة الأخذ بالأسباب. وقد كان الصِّديق رضي الله عنه أشدّ الحرص على عدم الإيغال في بلاد العدو حتى تدين للمسلمين، وقد كان ذلك واضحا تمامَ الوضوح في جبهات العراق والشام، ففي فُتوحات العراق أرسل الصدِّيق رضي الله عنه إلى خالد و عباس لتكليفهما بغزو العراق من جنوبه وشماله وجاء في

[1]-تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين .د.يسرى محمد هاني .جامعة أم القرى ط.1 .د.ت.ص 260

[2]-المصدر نفسه ص 261 .

[3]-التاريخ الإسلامي .راغب المرجاني ص 167

[4]-سورة يونس الأية 99

الكتاب :"وَأَيُّكُمَا سَبَقَ إِلَى الحِيرة فَهُوَ أَمِيرٌ عَلى الحِيرّة، فَإِذَا اجْتَمَعتُمَا بِالحِيرَة إِن شَاءَ الله وَقَد فَضَضْتُمَا مَصَالِحَ مَابَيْنَ العَرَب وَ فَارِس [1]

وهذا الكتاب الجليل يدل على فكر أبي بكر العالي وتخطيطه الدقيق وقيل ذلك توفيق الله له، وقد شهد ببراعة أبي بكر في التخطيط الحربي أخبرُ الناس بالحروب آنذاك وهو خالد بن الوليد وقد وضع من خطوط الإعداد الحربي التعبئة وحشد القوات وقد نادى المسلمون لحرب الرِّدَّة ثم استنفرهم بعدها للفتحات وأرسل إلى أهل اليمن .

إن المتأمل في حركة الفتح الإسلامي يرى توفيق الله تعالى لجيوش الخليفة أبي بكر رضي الله عنه، فقد اندلعت تلك الجيوش المظفَّرة نحو العراق والشام واستطاعت ان تكسِر شوكة الرومان والفرس وتفتح تلك الدّيار في وقت قياسي في تاريخ الحروب والسبب في سرعة هذا الفتح عوامل تتعلَّق بالمسلمين الفاتحين وأخرى ترجع إلى الأمم التي فتح المسلمون ديارهم، ومنها إيمان المسلمين بالحقِّ الذي يقاتلون من أجله ويَقينهم بربهم في قضية الرِّزق والأجل والقضاء والقدر. ومن الأسباب الأخرى والتي تتعلق بالبلاد المفتوحة فأهمها ضُعفُ الروم والفرس.

[1]- تاريخ الخلفاء السيوطي .ص 123

الفصل الثالث

إسهامات الخليفة عمر ابن الخطاب في تطوير النظم الإسلامية وأثرها في الحضارة الإنسانية

الفصل الثالث

إسهامات الخليفة عمر بن الخطاب في تطوير النظم الإسلامية وإثرها في الحضارة الإنسانية

- تطوير نظام الولاية على الأقاليم.
- تطوير النظام القضائي.
- تطوير النظام الإداري.

1-تطوير نظام الولاية على الأقاليم:

أسهم الخليفة عمر رضي الله عنه في تطوير نظام الولاية على الأقاليم، فقسم البلاد الإسلامية إلى ولايات كبيرة ووضع على رأس كل ولاية والي يحكمها ويقوم بتسيير شؤونها وينوب عمر عليها، وذلك ليطمئن على رعيته بسبب بعدهم عنه باتساع الأقاليم الإسلامية، على أنّ الوالي لم تكن له سلطة مستقلة بل كانت سلطته تابعة للخليفة عمر رضي الله عنه وترك في يد الوالي السلطة التنفيذية وإمامة المسلمين، فخفض بذلك من عبء الوالي ليفرغ لمهامه التي حددها له فقط، فأعطى بذلك عمر تنظيما جديدا في النظام السياسي، كان من بين إسهاماته التي لعبت دورا فعّالا في تطور النظم الإسلامية في الحضارة الإسلامية، والواقع الذي ينقله لنا التاريخ الإسلامي عن طريقة تسيير ولاة عمر للدولة الإسلامية في عهده خير دليل على إيجابية هذا التطوير والذي أدّى إلى ازدهار حضارتنا الإسلامية في عهده رضوان الله عليه. (1)

والولايات التي قسمها عمر هي: "ولاية الأهواز والبحرين، و ولاية سجستان ومكران وكرمان، وولاية طبرستان، و ولاية خراسان، وجعل فارس ثلاث ولايات، وبلاد العراق قسمها قسمين أحدهما حاضرته الكوفة والآخر حاضرته البصرة، وقسم بلاد الشام قسمين: أحدهما قاعدة حمص والثاني دمشق، وجعل فلسطين قسما قائما بذاته، وقسم إفريقية إلى ثلاث ولايات: مصر العليا ومصر السفلى، وغربي مصر، وصحراء ليبيا ، وعيّن عمر على هذه الولايات ولاة يستمدون سلطتهم من الخليفة الذي كان يجمع في يده السلطتين التنفيذية والقضائية". (2)

1- تاريخ الإسلام حسن ابراهيم حسن ص 369

2- تاريخ الخلفاء الإمام حافظ جلال السيوطي .المكتبة العصرية .بيروت .د.ط2003.ص 127

وفي عهده سمي الوالي أو العامل بالأمير (وأول من سمي بالأمير هو المغيرة بن شعبة) ثم شمل هذا اللفظ غيره من الولاة، وكان الأمير في البداية سلطان الخليفة في إقليمه وفي يده السلطات الثلاث: التشريعية والتنفيذية والقضائية، لكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فصل هذه السلطات الثلاث عن بعض وترك للأمير السلطة التنفيذية وسلطة الإمامة في المسجد، وفصل عنه القضاء، فعيّن قضاة في الأمصار، وفصل عنه الخراج فعيّن أصحابا للخراج والصدقات.[1]

وينقل لنا الطبري ولاة عمر الذين عيّنهم على الولايات التي ذكرناها آنفا، فيقول: « كان عامل عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- في السنة التي قتل فيها، وهي سنة ثلاث وعشرين على مكة "نافع بن عبد الحارث الخزاعي"، وعلى الطائف "سفيان بن عبد الله الثقفي"، وعلى صنعاء "يعلى بن منية"، وعلى الكوفة "المغيرة بن شعبة"، وعلى البصرة "أبو موسى الأشعري"، وعلى مصر "عمرو بن العاص"، وعلى حمص "عمير بن سعد"، وعلى دمشق "معاوية بن أبي سفيان"، وعلى البحرين وما والاهما "عثمان بن أبي العاص الثقفي"».[2]

وعلى هذا يكون عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قد جاء بأسلوب مبتكر من أجل إعطاء الوالي شيئا من الاستقلالية وهو في الوقت ذاته يحافظ على وحدة الدولة السياسية والعسكرية والاجتماعية.[3]

1- الخلفاء الراشدون أمين القضاة ص 54

2- محاضرات في النظم الإسلامية والحضارة العربية ضيف الله محمد الأخضر. ص 99

3- الخلفاء الراشدون أمين القضاة. ص 55

أ- شروط عمر في اختيار ولاته:

إنّ انتشار العدل والمساواة في أيّ دولة كانت عبر العالم يتطلب قادة و ولاة أكفاء ونزهاء يقدرون مدى عظم الأمانة التي أعطاها الشعب لهم، وحتى يتمّ تقليد هؤلاء القادة أو الرجال هذه المناصب العليا فإنّ ذلك يستلزم توفر شروط فيهم، ولعلّ سيدنا عمر رضي الله عنه كان له السبق في هذا حيث سار في اختيار ولاته على أساس شروط عرفت بالشروط العمرية ومن أقواله في هذا الشأن: "« من قلد رجلا على عصابة وهو يجد في تلك العصابة من هو أرضى لله منه، فقد خان الله، وخان رسوله، وخان المؤمنين»".[1]

ولنا في حسن اختيار الولاة قول الرسول صلى الله عليه وسلم الذي ينهى فيه عن اختيار الوالي الطالح وسيئ الأخلاق وترك من هو أصلح ، فيقول: "(من ولى من أمر المسلمين شيئا فولّى رجلا وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله)، وقوله أيضا: (ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلاّ حرم الله عليه الجنة)".[2]

أما الشروط التي وضعها عمر هي:

1. القوة والكفاءة:

وذلك حتى يكون الوالي قادرا على النهوض بالعمل المكلف به ويستطيع إخضاع الرعية لأمره بقوة شكيمته، ويقول في ذلك عمر: "« إني لأتحرج أن أستعمل الرجل وأنا أجد أقوى منه»، فعندما عزل "شرحبيل بن حسنة" عن ولاية

1- فضل الخطاب في سيرة ابن الخطاب علي الصلابي ص 378

2- النظام السياسي في الفكر العربي الإسلامي صالح عوض .ص 180

الشام وأسندها إلى "معاوية"، قال له الأول: « أعن سخطة يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، إنك لكما أحبّ، ولكني أريد رجلا أقوى من رجل»".[1]

2. أن لا يكون الوالي من أقارب أمير المؤمنين:

لم يكن عمر يولي من أقاربه أحدا حتى ولو كان صالحا وكفئا وذا قوة، ولم يولي حتى أبناءه وذلك ربما حرصا منه على رعيته فلو ظلمهم مثلا فإنهم ربما لن يستطيعوا شكايته لأمير المؤمنين خجلا منه، أو خوفا منه لإهمالهم لعملهم كونهم من أقربائه، وفي هذا يروى عن عمر: « عن الحسن قال: قال عمر: أعياني أهل الكوفة إن استعملت عليهم لينا استضعفوه وإن استعملت عليهم شديدا شكوه، ولوددت أني وجدت رجلا أمينا مسلما عليهم. فقال رجل: يا أمير المؤمنين أنا والله أدلك على الرجل القوي الأمين المسلم وأثني عليه. قال: من هو؟ قال: عبد الله بن عمر. قال: قال عمر قاتلك الله والله؟ ما أردت الله بها».[2]

"وعن عبد الملك، ابن عمر قال: قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه: « من استعمل رجلا لمودة، أو لقرابة لا يستعمله إلا لذلك، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين»".[3]

3. المشورة في اختيار الولاة:

كان عمر رضي الله عنه يشاور كبار الصحابة في اختيار ولاته، فكان بذلك يطبق المبدأ الإسلامي في شؤون الدولة الإسلامية وهو الشورى، فقد قال لأصحابه رضي الله عنه يوما: « دلوني على رجل إذا كان في القوم أميرا فكأنه ليس بأمير، وإذا لم يكن بأمير فكأنه أمير فأشاروا إلى الربيع بن زياد»، وقد

1- تاريخ الخلفاء الراشدين محمد سهيل طقوش ص 333

2- تاريخ عمر بن الخطاب ابن الجوزي.ص111-112

3- المصدر نفسه. ص 78.

استشار عمر رضي الله عنه الصحابة في من يولي على أهل الكوفة فقال لهم: « من يقدرني من أهل الكوفة ومن تجنيهم على أمرائهم إن استعملت عليهم عفيفا استضعفوه، وان استعملت عليهم قويا فجّروه، ثم قال: أيها الناس ما تقولون في رجل ضعيف غير أنه مسلم تقي وآخر قوي مشدّد أيهما الأصلح للإمارة؟ فتكلم المغيرة بن شعبة فقال: يا أمير المؤمنين إنّ الضعيف المسلم إسلامه لنفسه وضعفه عليك وعلى المسلمين، والقوي المشدّد فشداده على نفسه وقوته لك وللمسلمين فأعمل في ذلك رأيك. فقال عمر: صدقت يا مغيرة، ثم ولاه الكوفة وقال له: أنظر أن تكون ممّن يأمنه الأبرار ويخافه الفجّار، فقال المغيرة: أفعل ذلك يا أمير المؤمنين»".[1]

4. الرحمة والشفقة على الرعية:

كان عمر يشترط على ولاته الرحمة في تعاملاتهم مع المسلمين، ليحسوا بهم ويتفقدوا أمورهم، فلم يستعمل الغليظ والشديد الذي لا يلين قلبه لأخيه أو لغيره، ومن ذلك "أنّ عمر بن الخطاب كتب لرجل عهدا وجاء بعض ولده فأقعده في حجره، فقال الرجل: ما أخذت ولدا لي قط. قال عمر: وما ذنبي إن كان الله عزّ وجل نزع الرحمة من قلبك، وإنما يرحم الله عز وجل من عباده الرحماء، ثم انتزع العهد من يده. وعن أبي عثمان، قال: استعمل عمر بن الخطاب رجلا من بني أسد على عمل فدخل ليسلم عليه فأتى عمر ببعض ولده فقبّله، فقال له الأسدي: أتقبل هذا يا أمير المؤمنين فو الله ما قبّلت ولدا لي قط، فقال عمر، فأنت والله بالناس أقل رحمة، لا تعمل لي عملا فرد عهده".[2]

1- فضل الخطاب في سيرة ابن الخطاب علي الصلابي ص 382

2- تاريخ عمر بن الخطاب ابن الجوزي ص 113

وغزت بعض جيوشه بلاد فارس حتى انتهت إلى نهر ليس عليه جسر فأمر أمير الجيش أحد جنوده أن ينزل- في يوم شديد البرد- لينظر للجيش مخاضة يعبر منها، فقال الرجل: إني أخاف إن دخلت الماء أن أموت، فأكرهه القائد على ذلك، فدخل الرجل الماء وهو يصرخ: يا عمراه يا عمراه! ولم يلبث أن هلك، فبلغ ذلك عمر وهو في سوق المدينة، فقال: يا لبيكاه! وبعث إلى أمير ذلك الجيش فنزعه وقال: لو لا أن تكون سنة لأقدت منك، لا تعمل لي على عمل أبدا.[1]

ونرى في هذه الرواية الأمر الذي خاف منه عمر، فإنّ غابت الرحمة من قلب الوالي أو القائد فإنه سيقود المسلمين إلى هلاكهم دون شعور بالذنب والشفقة اتجاه رعيتهم، وكان يحرص على زيارتهم للمريض ومساندة الضعيف.

وخطب عمر ولاته فقال: « إن لكم معشر الولاة حق على الرعية ولهم مثل ذلك فإنه ليس من حلم أحب إلى الله ولا أعمّ نفعا من حلم إمام ورفقه، وإنه ليس جهل أبغض إلى الله ولا أعمّ ضررا من جهل إمام وفرقه وإنه من يطلب العافية فيمن بين ظهر ابنه ينزل الله عليه العافية من فوقه».[2]

قال أبو يوسف: حدثنا الأعمش عن إبراهيم قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا بلغه أنّ عامله لا يعود المريض ولا يدخل عليه الضعيف نزعه.[3]

وروي عن الأسود بن أبي يزيد قال: كان الوفد إذا قدموا على عمرا سألهم عن أميرهم فيقولون خيرا، فيقول: هل يعود مرضاكم؟ فيقولون: نعم، فيقول هل

1- الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين حمدي شاهين. ص 134

2- تاريخ عمر بن الخطاب ابن الجوزي ص 108

3- كتاب الخراج أبو يوسف بيروت :دار المعرفة د.ط .د.ت.ص 117

يعود العبد؟ فيقولون: نعم! فيقول: كيف صنيعه بالضعيف؟ هل يجلس على بابه؟ فإن قالوا لخصلة منها: لا، عزله.[1]

5. منع العمال من مزاولة التجارة:

كان عمر يمنع ولايته وعماله من التجارة بمال المسلمين، ويبعدهم عن العمل بها ولو بمالهم الخاص ،بغية تفرّغهم لمهامهم التي وكلهم بها فلا يلتهون بعملهم الجديد ويتركون أمور ولايتهم معلقة، "روي أنّ عاملا لعمر بن الخطاب اسمه الحارث بن كعب بن وهب، ظهر عليه الثراء، فسأله عمر عن مصدر ثرائه فأجاب: خرجت بنفقة معي فتاجرت بها، فقال عمر: « أو والله ما بعثناكم لتتجروا وأخذ منه ما حصل عليه من ربح».[2]

وجاء أبو هريرة عامل عمر على البحرين بعشرين ألفا، فسأله عمر: من أين أصبتها؟ قال: كنت أتجر، فقال عمر: « أنظر إلى رأي مالك ورزقك فخذه، واجعل الأخر في بيت المال»، وليس في ذلك منع لحرية الإنسان في التجارة والكسب، بل هو الحرص على ألا يستفيد من منصبه فيضغط على رعيته ليكسب من ورائهم، أو يجاملوه بالتجارة معه وتوفير الأرباح له ليفيدوهم من ذلك بفعل موقعه كأمير، ممّا يفتح بابا للفساد.[3]

6. اختبار الولاة قبل التولية:

كان عمر يختبر عماله قبل أو يوليهم، ليعرف إن كان ما علمه عنه صحيحا أو إن كان ظنه به في محله، وقد يطول هذا الاختبار كما يوضحه الأحنف بن قيس حين قال: قدمت على عمر بن الخطاب فاحتبسني عنده حولا، فقال: يا

1- تاريخ الإسلام حسن ابراهيم حسن ص 371

2- فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب علي الصلباني ص 381

3- الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين حمدي شاهين ص 136

أحنف إني قد بلوتك وخبرتك فرأيت علانيتك حسنة وأنا أرجو أن تكون سريرتك على مثل علانيتك، وإن كنا لنتحدث إنما يهلك هذه الأمة كل منافق عليم. ثم قال له: تدري لم حبستك، إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفنا كل منافق عليم اللسان ولست منهم.[1]

ومن نصائح عمر للأحنف: يا أحنف، من كثر ضحكه قلّت هيبته، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قلّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومن قلّ ورعه مات قلبه.[2]

7. عهده على ولاته:

كان عمر رضي الله عنه إذا اختار ولاة ألزمهم عهد التعيين الذي يتضمن شروطا على الوالي تطبيقها والعمل بها خلال ولايته، " وعن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: كان عمر بن الخطاب إذا استعمل عاملا كتب عليه كتابا وأشهد عليه رهطا من الأنصار أن لا يركب برذونا، ولا يأكل نقيا، ولا يلبس رقيقا، ولا يغلق بابه دون حاجات المسلمين، ثم يقول: اللهم أشهد".[3]

ولعله منهم من ركوب البرذون لأنّ هذه الدابة لها صفات خلقية تبعث على الخيلاء والكبر التي خشيها عمر على نفسه فكيف على ولاته، وذلك خشية عليهم من الوصول إلى الخيلاء والكبر التي قد تصبح صفة خلقية للوالي، ومنهم من لبس الرقيق من الثياب لأنه يدل على الإسراف والتميز على الناس، وإذا حصل ذلك فإنه يؤدي إلى تعالي الحكام على غيرهم وحقد الرعية عليهم، ومنعهم أيضا

1- تاريخ عمر ابن الخطاب ابن الجوزي ص 110

2- فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب علي الصلباني ص 381

3- تاريخ عمر بن الخطاب ابن الجوزي ص108

من أكل النقي من الدقيق، وذلك لحرص عمر على مساواة الحكام بالمحكومين في المأكل والمشرب.[1]

ومنعهم من إغلاق أبوابهم وصد المسلمين عن الوصول علن واليهم لقضاء حاجاتهم، وعدم اتخاذ حاجب يكون واسطة بين الوالي والرعية فيشعر الناس بعدم رغبته في رؤيتهم وتكبره عليهم مما يؤدي بهم إلى التخلي عن حاجاتهم وحقهم.

من ذلك ما وصله عن أنّ عامله على الكوفة سعد بن أبي وقاص اتخذ دارا بها كانت الأسواق قريبة منها فتمنعه أصوات أهلها من الراحة والعمل، فاتخذ لبيته بابا يحجز عنه أصوات الناس، فبلغ عمر أنّ الناس يسمّون البيت قصر سعد وأنه اتخذ له بابا فحجبه عن حاجات الناس، فأرسل عمر محمد بن مسلمة الأنصاري إلى الكوفة وأمره أن يعمد إلى قصر سعد فيحرق بابه ثم يرجع إلى المدينة، ففعل.[2]

فعلى الرّغم من أنّ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قد اتخذ بابا بغرض الراحة من أجل العمل، إلا أنّ عمر رضي الله عنه كان حريصا على رعيته من أن يمنعهم هذا الحاجز عن الوصول إلى واليهم لقضاء غرضهم، فحرقه ليحس الناس بقربهم من الوالي.

"وكان عمر يضرب الأسوة بنفسه، فكان لا يتخذ بابا ولا حجابا، يصلي الصلاة ثم يقعد للناس يكلمه من شاء".[3]

1- تاريخ الخلفاء الراشدين محمد سهيل طقوش ص 335

2- الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين حمدي شاهين ص 137

3- المرجع نفسه .ص 137 .

8. أن لا يكون الوالي نصرانيا:

عن عياض الأشعري قال: قدم على عمر فتح من الشام، فقال لأبي موسى: ادع كاتبك يقرأه على الناس في المسجد. قال أبو موسى: إنه لا يدخل المسجد. قال عمر: لم؟ أجنب هو؟ قال: لا ولكنه نصراني، فانتهره عمر وقال: لا تدنوهم وقد أقصاهم الله، ولا تكرموهم وقد أهانهم الله، ولا تأمنوهم وقد خونهم الله، وقد نهيتكم عن استعمال أهل الكتاب، فإنهم يستحلون الرشوة.[1]

فقد كان عمر يمنع تولية النصارى لأنّ مبادئهم غير مبادئ الإسلام التي تقوم على أساسها الدولة الإسلامية، ومنع أيضا الولاة من تشغيلهم على أمورهم ممّا يؤدي إلى إدخالهم وإحلالهم لمبادئ معارضة للدين الإسلامي.

وعن أبي هلال عن أشق قال: كنت عبدا نصرانيا لعمر. فقال: أسلم حتى نستعين بك على بعض أمور المسلمين لأنه لا ينبغي لنا أن نستعين على أمورهم بمن ليس منهم فأبيت فأعتقني. فقال: اذهب حيث شئت.[2]

9. لا يعطي الولاية من يطلبها:

أي ألا يكون الوالي راغبا في هذا المنصب طمعا بما فيه من مكانة، بل كان يعطيه لمن يقدّر عظم هذه المسؤولية ويستشعر منه خوفه من الله، لأنه سيحاسب عن أداء حقها. "فقد أثر عن عمر أنه أراد تولية رجل على ولاية، فجاء الرجل يطلبها، فتوقف عمر عن ذلك ولم يوله، مقتديا بالنبي صلى الله عليه وسلم، فإنه كان لا يولي على أمر من يطلبه ولو كان قادرا، فطالب الولاية لا يولى".[3]

1- فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب علي الصلباني ص 384

2- تاريخ عمر بن الخطاب ابن الجوزي .ص 110

3- تاريخ الخلفاء الراشدين محمد سهيل طقوش.ص 334

10. عدم قبول الوالي للهدايا:

كان عمر يمنع عماله من قبول الهدايا من أصحابها، حتى لا يضطر ولاته إلى تلبية حاجة صاحب الهدية كمجاملة لهم أو كرد جميل لهديتهم، فقد يجبرهم قبولها على إعطاء أصحابها مالا يستحقون، فيدخلهم هذا في الغش أو الرشوة كما اعتبره عمر رضي الله عنه "ويحكى في ذلك خبر طريف حدث مع عمر نفسه! فقد كان رجل يهدي إلى عمر فخذ جزور، وتكرر ذلك من الرجل، إلى أن جاءه ذات يوم برجل آخر يخاصمه، فقال الذي يهدي إلى عمر: يا أمير المؤمنين، اقض بيننا قضاء فصلا كما يفصل الفخذ عن سائر الجزور، يقول عمر: فما زال يكررها حتى خفت على نفسي، فقضى عمر لخصمه لما استبان له الحق عليه، وكتب إلى عماله: « أما بعد، فإياكم والهدايا فإنها من الرشا»".[1]

11. جعل الوالي من القوم:

كان عمر يشترط في اختياره في كثير من الأحيان أن يكون الوالي من القوم الذين سيوليهم عليهم، لدرايته بهم وبطبائعهم فلا يختلف معهم ويطمئنون له، وربما ليكون رفيقا بهم ويستحيي أن يردهم عن قضاء حقهم وحاجتهم في أيّ وقت طلبوه، "ومن ذلك توليته "جابر بن عبد الله البجلي" على قومه بجبلة، حينما وجههم إلى العراق، وكذلك توليته "سليمان الفارسي" على المدائن، وتوليته "نافع بن الحارث" على مكة، و"عثمان بن أبي العاص" على الطائف، ولعله كان يرمي من وراء ذلك إلى أهداف معينة يستطيع تحقيقها ذلك الشخص أكثر من غيره".[2]

1- الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين حمدي شاهين ص 137-138

2- فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب علي الصلباني ص 383

12. مقام العلم في التولية:

وقد جرى عمر الفاروق على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تولية أمراء الجيوش خاصة. قال الطبري: إنّ أمير المؤمنين، كان إذا اجتمع إليه جيش من أهل الإيمان، أمّر عليهم رجلا من أهل الفقه والعلم.[1]

13. أن لا يكون الوالي من آل النبي ولا من أكابر الصحابة:

وذلك لأنّ رسول الله كان لا يوليهم شيئا من ذلك، لأنه لا يريد أن يدنّسهم بالعمل، فقد يرتكبون أخطاء لا يمكن السكوت عليها فيقع الخليفة في الحرج من واقع إنزال العقاب المناسب بهم، وذلك لا يريده، أمّا التجاوز عن تجاوزاتهم وأخطائهم فهو أشدّ على عمر لذلك لم يولّ عثمان بن عفان أو عليا بن أبي طالب أو عبد الرحمن بن عوف أو العباس بن عبد المطلب وغيرهم.[2]

ب- <u>مراقبة عمل الولاة ومتابعتهم:</u>

كان عمر يقوم بمتابعة عمل ولاته ليتأكد من حسن تصرفهم وأداء ما أمرهم به، فلم يكن يولي الوالي ثم يتركه لمعرفته به بل كان يضع جهازه السري الخاص لمراقبتهم، فإن صدر منهم فعل غير مرغوب فيه عزلهم، إذ كان يقول: "« خير لي أن أعزل كل يوم واليا من أن أبقي ظالما ساعة نهار»"[3]، وكانت وسائله في متابعة ولاته ومراقبتهم متعددة منها:

1- المرجع السابق ص 379

2- تاريخ الخلفاء الراشدين محمد سهيل طقوش. ص 334

3- فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب علي الصلابي ص 402

1. رسائل البريد:

كان عمر رضي الله عنه يرسل البريد إلى الولاة في الأمصار فقد كان يأمر عامل البريد عندما يريد العودة إلى المدينة أي ينادي في الناس من الذي يريد إرسال رسالة إلى أمير المؤمنين؟ حتى يحملها إليه دون تدخل من والي البلد، وكان صاحب البريد نفسه لا يعلم شيئا من هذه الرسائل، وبالتالي يكون المجال مفتوحا أمام الناس لرفع أيّ شكوى أو مظلمة على عمر نفسه دون أن يعلم الوالي أو رجاله بذلك، وحينما يصل حامل الرسائل على عمر ينثر ما معه من صحف ويقرأها عمر ويرى ما فيها.[1]

ومن خلال هذا نرى أنّ عمر كان على اتصال مباشر برعيته لا يحتاج على الوالي كي يعرف أحوال المسلمين، فكانت الرسائل وسيلة ليطمئن بها الخليفة على رعيته، وأداة لمراقبة الوالي إن قصر في عمله أو ظلم رعيته فكان الناس يحصلون على حقهم وينتصفون بعمر الخليفة الذي جعل رعيته قريبة منه على الرّغم من بعد المسافات بينهم فقصرت الرسالة المسافة بينه وبينهم.

2. تعيين مراقب على عمل الولاة:

اختار عمر رجلا من خيرة رجاله تقوى وقوة وأمانة وسنا وتجربة هو "محمد بن مسلمة الأنصاري" ليكون مراقبه الخاص على العمال وأعمالهم والنظر في الشكاوي المرفوعة لهم، وهذا ما يؤكده "أبو يوسف" في قوله: "فدعا محمد ابن مسلمة وكان رسوله إلى العمال فبعثه وقال: ائتني به على الحال التي تجده عليها. قال فأتاه فوجد على بابه حاجبا، فدخل فإذا عليه قميص رقيق، قال:

1- المرجع السابق .ص 403.

أجب أمر المؤمنين فقال: دعني أطرح علي قبائي، فقال: لا، إلا على حالك هذه، قال: فقدم به عليه".[1]

وكان هذا أمرا فعالا في مراقبة الولاة فكان مسلمة الأنصاري يأتيهم على غفلة ليختبر عملهم وكان بمثابة عين لعمر على ولاته.

فكان موقع محمد بن مسلمة كالمفتش العام في دولة الخلافة، فكان يتحرى دقائق الأمور، ومحاسبة الولاة المقصرين، فقد أرسله لمراقبة ومحاسبة كبار الولاة، وكان مع محمد بن مسلمة أعوان.[2]

3. جولة تفتيشية على الأقاليم:

كان تفكير عمر قبل مقتله أن يجول على الولايات شخصيا لمراقبة العمال وتفقد أحوال الرعية، قال عمر: « ولئن عشت إن شاء الله لأسيرن في الرعية حولا، وإني أعلم أنّ للناس حوائج تقطع عني آمالهم فلا يصلون إليّ، وأمّا عمالهم فلا يرفعونها إليّ، فأسير على الشام فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين، ثم أسير على البحرين فأقيم بها شهرين، ثم أسير على الكوفة فأقيم بها شهرين، ثم أسير على البصرة فأقيم بها شهرين».[3]

فقد كان عمر يريد أن يتولى أمر مراقبة ولاته بنفسه والذهاب إلى رعيته ليسألهم مباشرة عن أحوالهم ليطمئن عليهم خشية أن يكونوا قد ظلموا ولكنهم لا يستطيعون الوصول إلى خليفتهم أو إرسال شكواهم إليه لأنّ حرصه كان شديدا على راحة رعيته ورضاهم عنهم لأنه يعتبر نفسه مسؤولا أمام الله عنهم حتى وإن لم يكن هو صاحب المظلمة ولكنه يرى نفسه ظالما إذا لم يغير المظلمة.

1- كتاب الخراج ابو يوسف. ص 116

2- فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب علي الصلابي ص 403-404

3- تاريخ عمر بن الخطاب ابن الجوزي ص 114

وقد طبق عمر شيئا من هذا خصوصا في ولاية الشام حيث سار إليها عدة مرات وتفقد أحوالها عن كثب فقد دخل دار أبي عبيدة وشاهد حالته وتفشفه ودار بينه وبين امرأة أبي عبيدة حوار شديد ألقت فيه اللوم على عمر نتيجة ما يعيشون فيه من تقشف، كما زار خالد بن الوليد ولم يجد عنده شيئا يلفت النظر سوى أسلحته التي كان منشغلا بإصلاحها، وقد كان عمر أثناء دخوله على هؤلاء يدخل فجأة إذ يصحبه رجل فيطرق الباب على الوالي فيتكلم الرجل ويطلب الإذن بالدخول له ولمن معه دون أن يعلموا أنه عمر وحينما يدخل عمر إلى الدار يقوم بالتمحيص فيها والإطلاع على ما فيها من أثاث، وقد سمع عمر رضي الله عنه أنّ يزيد بن أبي سفيان ينوّع في طعامه، فانتظر حتى إذا حان وقت عشاء يزيد استأذن عليه عمر، فلما رأى طعامه نهاه عن الإسراف في الطعام.[1]

4. طلب الوفود من الولاة:

كان عمر رضي الله عنه يطلب من الولاة أن يرسلوا وفودا من أهل البلاد ليسألهم عن بلادهم، وعن الخراج المفروض عليهم ليتأكد بذلك من عدم ظلمهم، ويطلب شهادتهم فكان يخرج إليه مع خراج الكوفة عشرة من أهلها، ومع خراج البصرة مثلهم، فإذا حضروا أمامه شهدوا بالله أنه مال طيب، ما فيه ظلم مسلم ولا معاهد، وكان هذا الإجراء كفيلا لمنع الولاة من ظلم الناس ، و لو حدث هذا لرفعه هؤلاء الموفودون إلى أمير المؤمنين وأخبروه به، كما أنّ عمر في الغالب كان يقوم بمناقشة هؤلاء الموفودين وسؤالهم عن بلادهم وعن ولاتهم وسلوكهم معهم.[2]

1- فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب علي الصلابي ص 405

2- المرجع نفسه. ص .403

وعليه لم يكن هناك مجال أمام الولاة للخطأ والخروج عن طاعة أمير المؤمنين وأوامره، بل كان يعلم بكل صغيرة وكبيرة فإن لم تصله بالمراقب أو رسائل الشكوى استقدم وفودا من تلك المدينة لينظر إلى تصرفات واليها واستفسر منهم عن تعاملاته معهم.

ج- **محاسبة عمر لوّلاته ومعاقبتهم:**

إنّ من تمام عدله رضي الله عنه وخوفه من الله عزّ وجل جعل نصب عينيه محاسبة الولاة الذين عينهم بنفسه وذلك ليستقيم حالهم مع رعيتهم فلا يعتدون على غيرهم ولا يظلمون ولا يتطاولون وهي السمة التي ماتت وتلاشت ممّا جعل الولاة والأمراء وأصحاب المناصب بعد هذا الزمن الذهبي يظلمون ويعتدون ويسرقون ولا يجدون من يحاسبهم فتهدر أموال الدولة وتنتهك الحرمات وتضيع الأمانات، وقد تعدّدت طرق عمر في محاسبة عماله واختلفت منها:

1. **محاسبتهم في موسم الحج:**

كان موسم الحج فرصة لعمر ليستقصي أخبار رعيته وولاته الشكايات ، وكان عمر يلخص فيه واجبات عماله أمام الرعية ثم يقول: فمن فعل به غير ذلك فليقم، فما قام من أهل الموسم إلا رجل واحد مما يدل على عدالة هؤلاء العمال ورضا الرعية عنهم، فقال ذلك الرجل: إنّ عاملك فلانا ضربني مائة سوط، فسأل عمر العامل فلم يجد عنده جوابا، فقال للرجل: قم فاقتص منه، فقام عمرو بن العاص فقال عمرو: فدعنا فلنرضه، فقال: دونكم أرضوه، فافتدى العامل من الرجل بمائتي دينار، كل سوط بدينارين.[1]

1- الدولة الاسلامية في عصر الخلفاء الراشدين حمدي شاهين ص .138-139

2. التأديب بالضرب:

كان عمر حازما في محاسبة عماله، وبلغت شدة حزمه أن يضرب عماله تقويما لسلوكاتهم وردعا لهم فلم يتردد في ضربهم بالدّرة التي عرف بها إن لزم الأمر ذلك. "ففي أثناء زيارة عمر إلى الشام دخل بعض ولاته فوجد عندهم بعض المتاع الزائد، فغضب عمر وأخذ يضربهم بالدّرة، وفي أثناء زيارة عمر إلى الشام لقيه الأمراء، فكان أول من لقيه يزيد بن أبي سفيان، وأبا عبيدة، ثم خالد على الخيول، عليهم ثياب فاخرة لا تليق بالمجاهدين فنزل وأخذ الحجارة ورماهم بها وقال: ما أسرع ما رجعتم من رأيكم، إياي تستقبلون في هذا الزيّ، وإنما شبعتم من سنتين وبالله ولو فعلتم هذا على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم، فقالوا يا أمير المؤمنين إنها يلاقة وإنّ علينا السلاح، قال فنعم إذن".[1]

3. خفض الرتبة من والي إلى راعي غنم:

وقد استعملها عمر بن الخطاب مع أحد عماله، إذ وصلت شكاية عليه من رجل، فكان ينزل رتبهم ليحسوا بقيمة ما كانوا فيه ولكنهم لم يقدروه وتركوا واجباتهم، "فأرسل عمر رجلين، ثم قال: سلا عنه فإن كان كذب عليه فأعلماني، وإن كان صدق فلا تملكا من أمره شيئا حتى تأتياني به، فسألا عنه فوجداه قد صدق عليه فاستأذنا ببابه فقال: إنه ليس عليه إذن، فقالا: ليخرجن إلينا أو لنحرقنّ بابه وجاء إحداهما بشعلة من نار فلما رأى ذلك آذنه أخبره فخرج إليهما، فقالا: إنا رسولا عمر لتأتيه، فقال: إنّ لنا حاجة نتزود، قالا: ما أنت بالذي تأتي أهلك، فاحتملاه فأتيا به عمر فسلم عليه، فقال: من أنت ويلك؟ قال: عاملك على مصر، فقال: استعملتك وشرطت عليك شروطا، فتركت ما أمرت

1- فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب علي الصلابي. ص 415

به، وانتهكت ما نهيتك عنه، أما والله لأعاقبنك عقوبة أبلغ إليك فيها، ائتوني بدراعة من كساء وعصا وثلاثمائة شاة من شياه الصدقة، فقال: البس هذه الدراعة فقد رأيت أباك وهذه خير من دراعته، وهذه خير من عصاه، اذهب بهذه الشاة فارعها في مكان كذا وكذا وذلك في يوم صائف ولا تمنع السابلة من ألبانها شيئا واعلم أنّ آل عمر لم تصب من شياه الصدقة ومن ألبانها ولحومها شيئا. ثم قال له : أفهمت ما قلت لك؟ وردد عليه الكلام ثلاث فلما كان في الثالثة ضرب بنفسه الأرض بين يديه وقال: ما أستطيع ذلك فإن شئت فاضرب عنقي، قال: فإن رددتك فأي رجل تكون، قال: لا ترى إلا ما تحب، فرده فكان خير عامل.[1]

فكان عمر بهذا العقاب يرهبهم بأن ينزل مقامهم من والي إلى راعي غنم ليذكرهم بما كانوا يعيشونه من خلال المنصب الذي خوّله لهم وتركوا، ويذكرهم بما سيؤولون إليه إن خالفوا أمير المؤمنين وظلموا الرعية وآذوا المؤمنين برتبتهم.

4. التوبيخ الشفوي والكتابي:

وقد قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمعاقبة الأمراء، على تصرفاتهم أثناء اجتماعهم به، حيث إنه عاقب عمرو بن العاص مرات، كما عاقب عياض بن غنم، وخالد بن الوليد وأبا موسى الأشعري وغيرهم من الأمراء. وأمّا المعاتبة الكتابية في خلافة عمر فهي كثيرة منها: أنه كتب إلى أحد الولاة، وكان

1- تاريخ عمر بن الخطاب ابن الجوزي. ص 113

قد قدم عليه قوم فأعطى العرب وترك الموالي: « أما بعد، فبحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم والسلام».[1]

5. إتلاف شيء من مساكن الولاة:

كان عمر يقوم بإحراق الأبواب والستائر وإتلاف الأشياء التي تحول دون وصول الرعية إلى واليها وتجبرهم على طلب الإذن، وكأنّ الوالي لم يولّ لخدمة الرعية، فكان عمر يتلفها لأنه بعثهم لخدمة المسلمين ولم يمنحهم المناصب ليتمتعوا بها ويتخلوا عن مشاقها، فقد بلغت درجة تقواه وعظم المسؤولية عنده أن يحرق أبواب ولاته ويتلف بعضا من مساكنهم ولو كانوا من كبار الصحابة ،كما رأينا مع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، ولكننا سرعان ما رأينا الحجابة ظهرت كنظام في العهدين الأموي والعباسي لتمنع الرعية من الوصول إلى الخلفاء، "فقد روى ابن شبة: أنّ عمر استعمل مجاشع بن مسعود على عمل فبلغه أنّ امرأته تجدد بيوتها فكتب إليه عمر: من عبد الله أمير المؤمنين إلى مجاشع بن مسعود، سلام عليك أما بعد، فقد بلغني أنّ الخضيرات تحدث بيوتها، فإذا أتاك كتابي هذا فعزمت عليك ألا تضعه من يدك حتى تهتك ستورها، قال: فأتاه بشيء يكرهه، فأمسك الكتاب بيده ثم قال للقوم: انهضوا، فنهضوا والله ما يدرون إلى ما ينهضهم، فانطلق بهم حتى أتى باب داره فدخل فلقيته امرأته فعرفت الشر في وجهه فقالت له: ما لك؟ فقال إليك عني قد أرمقتني، فذهبت المرأة، وقال القوم: أدخلوا، فدخل القوم، فقال: فليأخذ كل رجل منكم ما يليه من هذا النحو واهتكوا، قال فهتكوا جميعا حتى ألقوها إلى الأرض والكتاب في يده لم يضعه بعد. وفي أثناء زيارة عمر إلى الشام دعاه يزيد بن

1- فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب علي الصلابي. ص 416-417

أبي سفيان إلى الطعام فلما دخل عمر البيت وجد فيه بعض الستائر، فأخذ عمر يقطعها ويقول: ويحك أتلبس الحيطان ما لو ألبسته قوما من الناس لسترهم من الحر والبرد".[1]

وكان عقابه هذا منع للولاة من التبذير والإكثار من الزينة في المنازل، لأنّ كثيرا من الناس هم بحاجة إليها وإلى الأموال التي تضيع فيها من دون فائدة.

6. عزل الولاة بالشبهات والشكايات:

لجأ عمر في كثير من الأحيان إلى عزل الولاة بسبب شكوى بلغته أو شبهة صدرت في أحد الولاة ولو كان يعلم براءتهم، ولكنه كان يرضي الرعية حتى لا يحسّوا بثقل الوالي على قلوبهم وأنهم مجبرون على تحمّله، وهو بهذا حرص على راحة الوالي والرعية لأنّ كلا منهما سيكون راض عن الآخر مما يجنّب المسلمين الفتنة والفرقة، "فكان عمر يقول: « عان شيئا أصلح به قوما أن أبدلهم أميرا مكان أمير»".[2]

من ذلك أنه عزل سعد بن أبي وقاص عن إمارة الكوفة لغير شيء، إلا أنّ طائفة من أهل هذه المدينة ثاروا به وقالوا لعمر: إنه لا يقسم بالسوية ولا يعدل في الرعية ولا يغزو السرية. وقد بعث عمر محمد بن مسلمة إلى الكوفة، فرأى الناس جميعا راضين عن سعد مع ذلك عزله خوف الفتنة، لأنّ جيوش الفرس كانت تتجمع للغزو والثأر.[3]

فعلى الرّغم من بر سعد بن أبي وقاص وبراءته إلا أنّ أمير المؤمنين عزله خشية الفتنة لبعد نظره وحرصه على وحدة الدولة الإسلامية.

1- المرجع السابق .ص 414-415

2- الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين حمدي شاهين.ص 141

3- الفاروق عمر محمد حسين هيكل.ص 201-202

وقام عمر بعزل المغيرة بن شعبة عامله على البصرة لما اتهمه بعض جيرانه- وكانت بينه وبينهم ملاحاة وخصومة- أنه زنى بامرأة، فأرسل عمر يعزله ويستقدمه، و ولى بدله أبا موسى الأشعري سنة 17هـ، ولما تضاربت أقوال الشهود في مجلس التحقيق الذي مثل أمامه المغيرة ولم تكن على ما تقتضيه ضوابط الاتهام بالزنا في الإسلام، جلدهم عمر حدّ المفترى ثمانين جلدة، وأقرّ عزل المغيرة رغم عدم ثبوت التهمة عليه ولكنه عاد فوّلاه الكوفة لا البصرة التي شكاه بعض أهلها.[1]

7. عزل الوالي نتيجة وقوعه في الخطأ:

قام عمر بعزل الولاة نتيجة وقوعهم في أخطاء قد نهاهم عنها ولا تتوافق مع مبادئ الإسلام وأخلاق المسلم التي أمرنا الله بالاتصاف بها واتسم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، "فقد عزل رضي الله عنه أحد الأمراء نتيجة تدخله فيما لا يعنيه في شؤون أجناده حيث بعثه على جيش، فلما نزل بهم قال: عزمت عليكم لما أخبرتموني بكل ذنب أذنبتموه فجعلوا يعترفون بذنوبهم فبلغ ذلك عمر فقال: « ما له لا أمّ له، يعمد إلى ستر ستره الله فيهتكه؟ والله لا يعمل لي أبدا»، كما غضب عمر من أحد الولاة حينما بلغه بعض شعره وهو يتمثل فيها بالخمر فعزله".[2]

1- الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين حمدي شاهين.ص 141-142

2- فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب علي الصلباني ص 414

وفي ذلك يروى عن محمد ابن سعد قال: كان عمر بن الخطاب قد استعمل النعمان على ميسان، وكان يقول الشعر فقال:

ألا هل أتى للحسناء أنّ حليلهـا ❋ بميسان يسقى في زجاج وختم

إذا شئت غنتني دهاقين قريـــة ❋ ورقاصة تجشو على كل منسم

فإن كنت ندماني فبالأكبر أسقني ❋ ولا تسقني بالأصغر المتثلـــم

لعلّ أمير المؤمنين يســـوءه ❋ تنادمنا في الجو سق المتهـدم

فلما بلغ عمر قوله قال: نعم والله، إنه ليسوءني، من لقيه فليخبره أني قد عزلته.[1]

8. مقاسمة الولاة أموالهم:

وكان عمر يقاسم ولاته أموالهم إذا أحسّ بأنّ هذا المال يفوق أرزاقهم التي فرضها لهم وأنه يثير الشك حتى لا ينتهكوا مال غيرهم ويتربحوا بمال المسلمين ويستغلوا مناصبهم لزيادة أموالهم.

"وقد قام عمر رضي الله عنه بمشاطرة أموال عماله منهم: سعد بن أبي وقاص، وأبو هريرة وعمرو بن العاص رضي الله عنهم، وكان رضي الله عنه يكتب أموال عماله إذا ولاهم، ثم يقاسمهم ما زاد على ذلك، وربما أخذه منهم وقد قام أيضا بمشاطرة بعض أقارب الولاة لأموالهم، إذا ما رأى مبرّرا لذلك، فقد أخذ من أبي بكرة نصف ماله، فاعترض أبو بكرة قائلا: إني لم أل لك

1- تاريخ عمر بن الخطاب ابن الجوزي. ص 108

عاملا؟ فقال عمر: « ولكن أخاك على بيت المال وعشور الأبلة، فهو يقرضك المال تتجر به»".[1]

كما قيل إنّ أبا عبيدة كان يوسّع بالشام على عياله، فلما بلغ عمر ذلك نقصه من عطائه حتى شحب لونه وتغيرت ثيابه وساء حاله، فلما عرف عمر ما صار إليه أمره قال: « يرحم الله أبا عبيدة! ما أعفّ وأصبر»، وردّ عليه ما كان حبسه عنه.[2]

وكتب عمر مرة إلى عمرو بن العاص يقول: « أما بعد، فإنكم معشر العمال قعدتم على عيون الأموال، فجبيتم الحرام، وأكلتم الحرام، وأورثتم الحرام، وقد بعثت إليك محمد بن مسلمة الأنصاري ليقاسمك مالك، فأحضره مالك والسلام»، كذلك قاسم عمر جماعة من عماله أموالهم منهم: النعمان بن عدي، وذكروا أنّ سبب مقاسمة عمر بن الخطاب العمال قصيدة أرسلها الشاعر خالد بن الصعق إلى عمر جاء فيها:

أبلغ أميـــــر المؤمنين رسالـــــة ❋ فأنت ولي الله في المـــال والأمـــر
فلا تدعن أهل الرساتيق والجزي ❋ يسيغون مال الله في الأدم الوقـــر
فأرسل إلى النعمان فاعلم حسابــه ❋ وأرسل إلى جزء وأرسل إلى بشـــر
ولا تنسنين النـــافعين كليهمـــا ❋ وصهر بني غزوان عندك ذا وفـــر
إذا التاجر الهندي جـــاء بفـــارة ❋ من المسك راحت في مفارقهم تجري
نبيع إذا باعوا ونغـــزوا إذا غـــزوا ❋ فأنّى لهم مـــال ولنـــا بذي وفـــر.[3]

1- فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب علي الصلباني ص 116
2- الفاروق عمر محمد حسين هيكل. ص201 :

3- تاريخ الدولة العربية ص 264 :السيد عبد العزيز سالم

2-تطوير النظام القضائي:

أسهم الخليفة عمر بن الخطاب في تطوير النظام القضائي بأن فصل القضاء عن السلطة السياسية فجعل بجانب الوالي قاضيا يقوم بحل النزاعات والنظر في القضايا، وكان هذا الإسهام من عمر يهدف إلى خلق نظام عادل يكون فيه القاضي متفرغا لعمله وبالتالي التخفيف من ضغط العمل على الولاة، وقام رضوان الله عليه بتخصيص راتب للقاضي حتى لا يشغله كسب قوته عن القضاء، ووضع تعاليم على القاضي العمل بها.

فقد قام بتطوير المؤسسة القضائية وما يتعلق بها من أمور، وأصبح في عهده مبدأ فصل القضاء عن غيره من السلطات واضحا في حياة الناس ولم يكن استقلال القضاء مانعا لعمر رضي الله عنه من أن يفصل في بعض القضايا وترك بعض ولاته يمارسون القضاء مع السلطة التنفيذية، ويراسلهم في الشؤون القضائية، فقد راسل المغيرة بن شعبة في أمر القضاء وكان واليه على البصرة ثم الكوفة، وراسل معاوية على الشام في النزاع القضائي، وراسل أبا موسى الأشعري في شأن بعض القضايا، وكان القاضي يعيّن للولاية كلها، سواء أكان تعيينه من قبل الخليفة أم كان من قبل الوالي بأمر الخليفة، وكان مقر القاضي حاضرة الولاية وإليه ترجع السلطة القضائية في ولايته.[1]

فعلى الرّغم من أنّ عمر فصل السلطة القضائية عنه وعن بعض الولاة إلا أنه لم يكن فصلا كليا بل كان يتتبع قضاته ويراقب قراراتهم ويراسلهم ليوجههم ويأمرهم بأن يمتثلوا للآداب التي يوصيهم بها، وكان يقضي بنفسه في بعض القضايا، فكانت سلطة القاضي تابعة للخليفة يعينهم ويعزلهم بأمره.

1- فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب علي الصلباني ص 105-306

وقد جمع لبعض ولاته بين الولاية والقضاء إذا كان القضاء لا يشغلهم عن شؤون الولاية، ومن القضاة الذين قصرهم الفاروق في خلافته على القضاء وحده:

- عبد الله بن مسعود: ولاه عمر الكوفة، فقد روى قتادة عن مجاز أنّ عمر بن الخطاب بعث عمار بن ياسر على صلاة أهل الكوفة، بعث عبد الله بن مسعود على بيت المال والقضاء.
- سلمان بن ربيعة: ولاه عمر القضاء على البصرة ثم القادسية.
- قيس بن أبي العاص القرشي: تولى قضاء مصر.

أما الذين جمعوا بين الولاية والقضاء فمنهم:

- نافع الخزاعي والي مكة، ذكر ابن عبد البر أنّ عمر بن الخطاب استعمله على مكة وفيهم سادة قريش، ثم عزله وولى خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي.
- يعلى بن أمية والي صنعاء.
- سفيان بن عبد الله الثقفي والي الطائف.
- المغيرة بن شعبة والي الكوفة.
- معاوية بن أبي سفيان والي الشام.
- عثمان بن أبي العاص الثقفي والي البحرين وعمان.
- أبو موسى الأشعري والي البصرة.
- عمير بن سعد والي حمص.[1]

1- المرجع السابق ص 306

ومن هؤلاء من أبقاه الفاروق على القضاء مع الولاية، كما فعل مع معاوية، ومنهم من فصل القضاء عن سلطته وقصره على الولاية كما فعل مع المغيرة، وأبا موسى الأشعري، ومن قضاة الفاروق بالمدينة:

- علي بن أبي طالب.
- زيد بن ثابت الأنصاري: فقد روى عن نافع: أنّ عمر استعمل زيد بن ثابت على القضاء وفرض له رزقا.
- السائب بن أبي يزيد.[1]

وكان هؤلاء القضاة يحكمون مستقلين برأيهم في حدود كتاب الله وسنة رسوله، فكانت توليتهم أول خطوة في تنظيم السلطات وفصل بعضها عن بعض، على أنها كانت خطوة أدّت إليها الحاجة وقضت بها ضرورات التطور في أحوال الدولة.[2]

أ. **أهم رسائل عمر إلى القضاة:**

أسهمت رسائل عمر إلى قضاته في تطور النظام القضائي في عهده، فقد حوت أسس القضاء ونصت على تعاليم استمدها باجتهاده من كتاب الله العزيز وسنة نبيّه، وبيّن للقاضي أهم الصفات التي ينبغي أن يتسم بها ليكون قاضيا في الإسلام، ووضع شروطا في إصدار الحكم، فكانت رسائله مرجعا أساسيا في النظام القضائي من بعده.

1- المرجع السابق ص 307

2- الفاروق عمر محمد حسين هيكل ص .203

إذ لا تزال كتب عمر وأقواله تشهد بسعة علمه في القضاء وأصوله وأحكامه، وكتابه إلى أبي موسى الأشعري قطعة من أدب القضاة خالدة على الزمان.[1]

فقد سنّ عمر لهؤلاء القضاة دستورا يسيرون على هديه في الأحكام، ويعتبر هذا الكتاب أساس علم المرافعات في القضاء.[2]

قال الماوردي: وقد استوفى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عهده إلى أبي موسى الأشعري شروط القضاء وبين أحكام التقليد فقال فيه: « أما بعد، فإنّ القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فافهم إذا أدلي إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، وآس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك. البينة على من ادعى واليمين على من أنكرن والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما، أو حرم حلالا، ولا يمنعك قضاء قضيته أمس فراجعت اليوم فيه عقلك، وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق فإنّ الحق قديم، لا يبطله شيء ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل، الفهم فيما تلجلج في صدرك ما ليس في كتاب الله تعالى ولا سنة نبيه، ثم اعرف الأمثال والأشباه، وقس الأمور بنظائرها، واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة أمدا ينتهي إليه، فمن أحضر بينة أخذت له حقه وإلا استحلل القضية عليه، فإنّ ذلك أنفى للشك وأجلى للعمى، والمسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودا في حدّ أو مجربا عليه شهادة زور أو ظنينا في ولاء أو نسب، فإنّ الله عفا عن الأيمان ودرأ بالبينات، وإياك والقلق والضجر

1- المرجع السابق ص 204.

2- تاريخ الإسلام حسن ابراهيم حسن.ص 396

والتأفف بالخصوم فإنّ الحق في مواطن الحق يعظم الله به الأجر ويحسن به الذكر، والسلام».[1]

نرى بأنّ هذه الرسالة قد لخصت وشملت كل ما يقتضيه النظام القضائي وما على القاضي الالتزام والسير عليه في إصدار أحكامه، فقد بيّنت المصدر الأساسي للقضاء وهي القرآن الكريم والحديث الشريف فإن لم يرد الحكم فيهما اجتهد القاضي بفهمه معتمدا على القضايا المشابهة التي ورد فيها النص، و أوضحت للقاضي ألا يقضي وهو في حالة قلق وضجر وأن لا يتأفف من كثرة الخصوم لأنّ إرجاع الحق لهم يرفع من الأجر عند الله ويزكو به صاحبه فيعرف بعدله وحسن قضائه، وأنّ المسلمين كلهم عدول إلا من أقيم عليه حدّ أو شهد بزور.

وقال **ابن قيم الجوزية** معلقا على هذه الرسالة: « وهذا كتاب جليل القدر تلقاه العلماء بالقبول، وبنو عليه أصول الحكم والشهادة والحكم».[2]

ولم يكن هذا الدستور هو كل ما ترك لنا الفاروق في القضاء، فقد كانت رسائله إلى ولاته وقضاته تتتابع، حرصا منه على إقامة العدل والمساواة بين الناس في الحكم، ونصرة المظلوم بإرجاع حقه، فلم يكن يدع مجالا لضياع حق أو ظلم ضعيف، بل عمل على نشر العدل في أرجاء الدولة الإسلامية بيده وبقضاته وبرسائله إليهم.

ومن الرسائل المهمة في هذا الباب رسالة الفاروق إلى أبي عبيدة رضي الله عنه: « أما بعد، فإني كتبت إليك بكتاب لم آلك ونفسي خيرا، ألزم خمس خصال يسلم لك دينك، وتأخذ بأفضل حظيك: إذا حضر الخصمان فعليك بالبينات

1- الأحكام السلطانية والولايات الدينية الماوردي.القاهرة :دار الحديث .د.ط.د.ت.56

2- النظم الإسلامية حسين الحاج حسن.بيروت :المؤسسة الجامعية للدراسات ط1.1406 هـ /1987 م ص 225

العدول، والأيمان القاطعة، ثم أدن الضعيف حتى تبسط لسانه، ويجترئ قلبه، وتعهد الغريب فإنه إذا طال حبسه ترك حاجته وانصرف إلى أهله، وإنّ الذي أبطل لم يرفع به رأسا، واحرص على الصلح ما لم يستبن لك القضاء، والسلام».[1]

وكتب على القاضي شريح عن الاجتهاد: « إذا أتاك أمر فاقض فيه بما في كتاب الله، فإن أتاك ما ليس في كتاب الله فاقض بما سن فيه رسول الله، فإن أتاك ما ليس في كتاب الله ولم يسنه رسول الله ولم يتكلم فيه أحد فأيّ الأمرين شئت فخذ به. وفي رواية أخرى: فإن شئت أن تجتهد رأيك فتقدم، وإن شئت أن تتأخر فتأخر، وما أرى التأخر إلا خيرا لك».[2]

كان عمر يوجه قضاته إلى الاجتهاد إذا استصعبوا قضية ولم يرد فيها نص لا في الكتاب ولا السنة، فكان يشجعهم على ذلك بشرط عدم الإسراع في اتخاذ الحكم المناسب لأنّ تأجيل القرار قد يمدهم بحسن الرأي والفهم الدقيق للقضية.

وكتب الفاروق أيضا على عبد الله بن قيس رسالة بيّن فيها قواعد أساسية للقضاء يقول: «أما بعد، فإنّ للناس نفرة عن سلطانهم فأعوذ بالله أن تدركني، وإياك وعمياء مجهولة، وضغائن محمولة، أقم الحدود ولو ساعة من نهار، وإذا عرض لك أمران أحدهما لله والآخر للدنيا فآثر نصيبك من الله فإنّ الدنيا تنفذ والآخرة تبقى، وأخيفوا الفساق واجعلوهم يدا يدا، ورجلا رجلا، وعد مرضى المسلمين، واشهد جنائزهم وافتح لهم بابك وباشر أمورهم فإنما أنت رجل منهم غير أنّ الله جعلك أثقلهم حملا».[3]

1- فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب علي الصلباني.ص 308

2- المرجع نفسه .ص 309.

3- النظم والحضارة الإسلامية فتيحة النبراوي.القاهرة :دار الفكر العربي .ط 9 .1999.ص113

كانت قواعد القضاء عند الفاروق تتابع في رسائله، وفي كل مرة يحدث قواعد أسمى في القضاء وأهم ما حملته هذه الرسالة هو أن لا تحول الخصومات والضغائن بين القاضي والخصوم، بل عليه أداء واجبه ورسالته وإلا فإنه سيكون ظالما للمشتكي ومستغلا لمنصبه كونه القاضي والمشتكي عدوه الذي يكن له الكره، وأوصى القاضي بأن يفصل بين المتخاصمين إذا حضرا ويترك قضاء حاجاته الأخرى لأنّ إقامة الحق أسبق عند الله وأعظم أجرا في الآخرة وأمر القاضي بأن يكون صلبا قويا يخاف منه الفاسق في حين يكون لينا مع الضعفاء والمرضى يزورهم ويستقبلهم وينظر في مشكلاتهم، لأنّ القاضي رجل من الرعية غير أنّ مسؤوليته كبيرة، يؤدي الخطأ فيها إلى الظلم والفساد.

ب. تعاليم عمر في نظام القضاء:

وتتمثل في أهم التعاليم المستخلصة من خلال رسائله على قضاته ووصاياه لعماله:

1. الحكم بالكتاب والسنة ثم الاجتهاد بالفهم الدقيق:

أن يأخذ القاضي بما ورد في الكتاب أو السنة وتحري الحق على ضوئهما وذلك في القضايا التي فيها حكم ظاهر، أما القضايا التي ترد على القاضي وليس فيها حكم ظاهر في الكتاب أو السنة، فإنها تحتاج إلى فهم وعلم ونظر دقيق، ثم إنّ العمل في مثل هذه القضايا النظر في أشباهها من القضايا القريبة منها، فينظر القاضي ويحمل الجديد على اقرب وأشبه قضية بها، ولا يكون ذلك إلا بعد النظر الموصل إلى قناعته بأنّ ما توصل إليه أحب الطرق إلى الله فيما يعنّ القاضي.[1]

1- تاريخ الخلفاء الراشدين محمد سهيل طقوش. ص 349-350

2. الاستشارة فيما أشكل على القاضي من أمور:

كان عمر يحضّ القضاة على الاستشارة للاستفادة من آراء الآخرين، فقد توضح له، شيئا أو إشكالا أبهم عنه وغاب عن باله، لأنّ الإسلام جعل الشورى في شتى الأمور ولم يقصرها على أمر واحد، فرأي الجماعة أفضل وأحسن من رأي الرجل الواحد، فالفاروق بنفسه كان يستشير في أمور خلافته كبار الصحابة وعامة الناس.

فقد كتب عمر إلى أحد القضاة: « واستشر في دينك الذين يخشون الله عز وجل»، فكان عمر كثير الاستشارة حتى قال الشعبي: من سره أن يأخذ بالوثيقة من القضاء فليأخذ بقضاء عمر فإنه كان يستشير".[1]

كما أنّ عمر حدّد لقضاته أهل الشورى، أي أن يكون القاضي على علم بهم فيختارهم ممّن يخشون الله عز وجل ويخافونه، ومنهم أهل العلم.

3. تجنب كلّ ما من شأنه التأثير على القاضي:

كالرشوة، وتساهل التجار معه في البيع والشراء والهدايا ونحو ذلك، ولذلك منع عمر القضاة من العمل بالتجارة، والصفق بالأسواق، وقبول الهدايا والرشاوى، فكتب إلى أبي موسى الأشعري: « لا تبيعن ولا تبتاعن ولا تضارين ولا ترتش في الحكم»، وقال شريح: شرط عليّ عمر حين ولاني القضاء ألا أبيع ولا أبتاع ولا أرشى.[2]

1- موسوعة فقه عمر بن الخطاب محمد رواس قلعجي. بيروت دار النفائس ط 4 .1409هـ /1989 م.ص 725

2- فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب علي الصلباني .ص 314

منع عمر قضاته من البيع والشراء لأنّ التجار سيجاملونهم في التعامل معهم، مما قد يقود بعض القضاة إلى رد جميلهم وظلم غيرهم ممّا يؤدي إلى انتشار الفساد في المؤسسة القضائية.

4. تأجيل القضاء حتى تحضر البينة:

من ادعى حقا غائبا وكانت له بينة ولكنها غائبة فيؤجل وقتا كافيا لإحضار بينته ما لم يكن متهربا من الحق، وإذا أحضر البينة في حدود الأجل المضروب أعطي حقه لأنه قد اظهر حقه ببينته، وإن عجز المدعي عن إحضار البينة التي زعمها في الوقت المحدد له، فلا حق له في دعواه، هذا ما لم يكن قد حصل على عذر منعه من إحضار بينته، فإن اتبع القاضي هذه الطرق في سماع الدعوى والبينة، وأجّل ما يستحق التأجيل يكون قد أبلغ في العذر، وجلّى العمى في القضية، فلا يبقى إشكال ولا عذر للمعتذر.[1]

و عليه فإن عمر منح وقتا للمدّعى من أجل إحضار بينته إذا غابت عنه في وقتها، فكان يأمر القضاة بألا يتسرعوا كي لا يضيع الحق من المدعي.

5. الحرص على الصلح بين المتخاصمين:

قال عمر: « ردوا الخصوم حتى يصطلحوا، فإن فصل القضاء يورث الضغائن بين الناس، فإن عادوا بصلح يتفق مع شرع الله أمضاه القاضي وإن كان صلحهم لا يتفق مع أحكام الشريعة نقضه القاضي»، قال الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا، وعلى القاضي أن يحرص على الصلح خاصة بين المتخاصمين إذا لم يتبيّن له الحق، فقد كتب عمر إلى معاوية:

1- تاريخ الخلفاء الراشدين محمد سهيل طقوش. ص 349

«احرص على الصلح بين الناس ما لم يستبن لك القضاء، أو كانت بينهم قرابة، فإنّ فصل القضاء يورث الشنآن».[1]

وهذه كلها أقوال تحرص على وحدة المسلمين، لأنّ الفصل في النزاعات يؤدي إلى العداوة بين المتخاصمين فظهور الحق للمدعي عليه يولد الكره ضد المدّعى ممّا يؤدي إلى فرقة المسلمين، ولكن عمر جعل من تعاليم القضاء الصلح بين المتخاصمين وليس إقرار الحق لأحدهما فقط فأصبح من واجب القاضي الفصل في القضية والصلح بين المتخاصمين.

6. عدم الرجوع في القضاء:

إذا قضى القاضي في قضية، ونفذ الحكم فيها فلا رجوع فيما قضى فيه، وإذا قضى في قضية وجاءته بعدها قضية مماثلة فبان له أنه أخطأ في القضاء في الأولى، وبان له الحق، فإنه يقضي بما ظهر له، ولا يتابع الخطأ فيقضي كما قضى بالأمس.[2]

لأنّ الرجوع في حكم القضية الأولى وقد يحدث مشاكل وخلافات بين المتخاصمين، وقد تنقص من هيبة القاضي ومكانته ويعتبر الناس أنّ قضاءه غير عادل.

1- موسوعة فقه عمر بن الخطاب محمد رواس قلعجي ص 729

2- تاريخ الخلفاء الراشدين. ص 349

7. تنفيذ الحكم:

فعلى القاضي أن ينفذ الحكم الذي يتبين له، ولا يتكلم به أو يصدره فقط، فلا نفع من التكلم بالحق دون إحقاقه بل يجب تطبيقه إذ يقول عمر: « وأنفذ إذا تبيّن لك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له».[1]

8. تقرير البراءة للمتهم حتى تثبت إدانته:

كان عمر يقرر البراءة للمتهم حتى يحضر المدّعي الدليل على صدق كلامه إذ يقول: "« البينة على من ادّعى، واليمين على من أنكر»، وعن عبد الله بن عامر قال: انطلقت في ركب حتى إذا جئنا ذا المروة سرقت عيبة لي، ومعنا رجل منهم، فقال له أصحابي: يا فلان أردد عليه عيبته، فقال: ما أخذتها، فرجعت إلى عمر بن الخطاب فأخبرته، فقال: من أنتم؟ فعددتهم، فقال: أظنه صاحبها- للذي اتهم- فقلت: لقد أردت يا أمير المؤمنين أن آتي به مصفودا، قال عمر: أتأتي به مصفودا بغير بينة".[2]

9. الأخذ بالأدلة الظاهرة دون البحث عن النوايا:

من ذلك عن أبي قال: خطب عمر بن الخطاب فقال: « أيها الناس ألا إنما كنا نعرفكم إذ بين أظهرنا النبي صلى الله عليه وسلم وإذ ينزل الوحي وإذ ينبئنا الله من أخباركم، ألا وإنّ النبي صلى الله عليه وسلم قد انطلق وانقطع الوحي وإنما نعرفكم بما نقول لكم من أظهر منكم خيرا ظننا به خيرا وأحببناه عليه ومن أظهر لنا شرا ظننا به شرا وأبغضناه عليه، سرائركم بينكم وبين ربكم».[3]

1- فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب علي الصلابي .ص 415

2- موسوعة فقه عمر بن الخطاب محمد رواس قلعجي ص 729

3- تاريخ عمر ابن الخطاب ابن الجوزي ص.89

فعلى القاضي أن يحكم بين الناس بما يظهر منهم ويصدر عنهم وليس عليه النظر إلى نواياهم وسرائرهم، فقد يخطئ الظنّ بهم لأنّ النوايا لا يعلمها إلا الله عز وجل فيبقى ظنه احتمالا لا أساس له.

10. سعة الصدر:

لابدّ أن يبتعد القاضي عمّا يثير غضبه وقلقه وضجره أثناء القضاء، ولا ينبغي له أن يضيق بالناس وقت الخصومة، ويتنكر للخصوم عند ذلك، ثم إنّ الصبر على القضاء والعدل يكسبه الأجر وحسن الذكر.[1]

من ذلك قوله لأبي موسى الأشعري: « إياكم والضجر، والغضب والقلق والتأذي بالناس عند الخصومة»، فإذا رأى القاضي من نفسه شيئا من هذا، فلا يجوز له النطق بالحكم حتى يذهب عنه ذلك، لئلا يكون الدافع إلى الحكم حالة نفسية معينة، فقد كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: « ولا تحكم وأنت غضبان».

وعن شريح، قال: شرط عليّ عمر حين ولاني القضاء أن لا أقضي وأنا غضبان، وممّا يؤدي إلى ضيق الصدر ويدفع أحيانا على الاستعجال المخل في البث في بعض القضايا الجوع والعطش ونحو ذلك، ولذلك قال عمر: « لا يقضي القاضي إلا وهو شبعان ريان».[2]

حرص عمر على بيان كل الأمور التي تؤدي إلى سعة الصدر لقضاته، ليكون حكمهم عادلا، وصادرا عن تفكير دقيق وليس عن قلق وغياب للعقل.

1- تاريخ الخلفاء الراشدين محمد سهيل طقوش .ص 350

2- موسوعة فقه عمر بن الخطاب محمد رواس قلعجي ص 726

11. إخضاع القضاة أنفسهم لأحكام القضاء:

كان عمر رضي الله عنه أول من يخضع للقضاة وكان يثني على القاضي حتى ولو صدر الحكم ضده، "وهذا مثال على ذلك، فقد ساوم عمر أعرابيا على فرس، فركبه ليجربه، فعطب الفرس، فقال عمر: خذ فرسك، قال الرجل: لا، قال عمر: فاجعل بيني وبينك حكما، قال الرجل: شريح، فتحاكما إليه، فلما سمع قال: يا أمير المؤمنين خذ ما اشتريت، أورد كما أخذت، فقال عمر: وهل القضاء إلا هكذا؟ فبعثه إلى الكوفة قاضيا.[1]

12. فهم القضية فهما دقيقا:

ودراستها دراسة واعية قبل النطق بالحكم ولا يجوز له النطق بالحكم قبل أن يتبيّن له الحق، فكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: « افهم إذا أدلى إليك»، وقال أبو موسى مرة: لا ينبغي لقاض أن يقضي حتى يتبيّن له الحق كما يتبيّن له الليل والنهار، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فقال: « صدق أبو موسى».[2]

13. تشجيع الضعيف وسرعة النظر في دعوى الغريب:

فقد كتب عمر إلى أبي عبيدة رضي الله عنه: « أدن الضعيف حتى تبسط لسانه ويجترئ قلبه»، وكتب له أيضا: « تعهد الغريب فإنه إذا طال حبسه– أي طالت إقامته وبعده عن أهله من أجل هذه الدعوى– ترك حاجته وانصرف إلى أهله».[3]

1- فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب علي الصلابي .ص 316

2- المرجع نفسه ص 312

3- موسوعة فقه عمر بن الخطاب ص 729

14. المساواة بين المتخاصمين:

فعلى القاضي أن يسوي بين المتخاصمين ولا يميل لأحدهما لقرابة منه أو لمنصبه العالي في الدولة، لأن ميل القاضي لخصم دون الآخر قد يشعر الخصم الآخر بتحيّز القاضي ويشك في عدله بأنه سيظلمه، "لهذا كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: « سوّ بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك»، وكتب أيضا: « اجعلوا الناس عندكم في الحق سواء قريبهم كبعيدهم، وبعيدهم كقريبهم»".[1]

وجعل من واجب القاضي وآدابه أن يسوّي بين الناس في مجلسه فيجالس الفقير كما يجالس الغني، ويعدل في حكمه بين القريب منه والبعيد عنه.

ج. تعيين عمر راتب للقاضي:

من الأمور التي لا يمكن للقاضي أن ينهض بعمله دونها الراتب المنتظم الذي يعينه وعيا له على استمرار الحياة، وأنّ النفقة عليه من بيت مال المسلمين تضمن استمرار مصلحته للأمة، وتفرغه لعمله، إذ لو تعاطى القاضي عملا ليؤمن رزقه ورزق عياله لما استطاع أن يقوم بواجب وظيفة القضاء، فلابدّ للقاضي إذن من التفرغ الكامل لوظيفته، ولا يتمّ ذلك إلا بتوسيع رزقه حتى يطمئن على نفسه وعلى عياله من الحاجة، قد فرض عمر رواتب لقضاته الذين فرّغهم للعمل في ميدان القضاء، نذكر منهم زيد بن ثابت، شريح الكندي، سلمان بن ربيعة الباهلي قاضي الكوفة وعبد الله بن مسعود.[2]

1- فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب علي الصلابي .ص 313

2- تاريخ الخلفاء الراشدين محمد سهيل طقوش ص 350

وكان يولي الولاة باختيار الصالحين للقضاء، وبإعطائهم المرتبات التي تكفيهم فقد كتب إلى أبي عبيدة ومعاذ: أنظروا رجالا صالحين فاستعملوهم على القضاء وارزقوهم.[1]

فقد كان عمر أول من يعيّن راتب للقاضي في عهده لأنه أوّل من فصل القضاء عن الولاية، فجعل للقاضي مبلغا يكفيه ويغنيه عن العمل في مجال آخر، ليتفرغ لعمله ولا يشغله التفكير في تأمين عيشه.

د. صفات القاضي:

1) **العلم بالأحكام الشرعية:** لأنه سيطبقها على الحوادث والقضايا، ويستحيل عليه تطبيقها مع الجهل بها.
2) **التقوى:** فقد كتب عمر إلى معاذ بن جبل وأبي عبيدة بن الجراح، أن أنظرا رجالا من صالحي من قبلكم فاستعملاهم على القضاء.
3) **الترفع عمّا في أيدي الناس:** فقد قال عمر رضي الله عنه: « لا يقيم أمر الله إلا من لا يصانع، ولا يضارع، ولا يتبع المطامع».[2]
4) **الفطنة والذكاء:** ويشترط في القاضي أن يكون فطنا ذكيا ينتبه إلى دقائق الأمور.[3]
5) **الشدة في غير عنف واللين من غير ضعف:** قال عمر: « لا ينبغي أن يلي هذا الأمر إلا رجل فيه أربع خصال: اللين في غير ضعف، والشدة في غير عنف، والإمساك في غير بخل والسماحة في غير سرف»،

1- فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب علي الصلابي .ص 310
2- المرجع نفسه ص 311
3- موسوعة فقه عمر بن الخطاب محمد رواس قلعجي ص. 723

وقال: « لا يقيم أمر الله إلا رجل يتكلم بلسانه كلمة لا ينقص عز به، ولا يطمع في الحق على حدّته».

6) **قوة الشخصية:** عن ابن سيرين قال: قال عمر بن الخطاب: « والله لأنزعن فلانا عن القضاء، ولاستعملن على القضاء رجلا إذا رآه الفاجر فرقه».[1]

7) **أن يكون ذال مال وحسب:** فقد كتب عمر إلى بعض عماله لا تستقضين إلا ذا مال وذا حسب، فإنّ ذا المال لا يرغب في أموال الناس، وإنّ ذا الحسب لا يخشى العواقب بين الناس.[2]

1- المصدر السابق .ص 724

2- تاريخ عمر ابن الخطاب ابن الجوزي ص.113

3-تطوير عمر للنظام الإداري:

أسهم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تطوير النظام الإداري الإسلامي بإنشاء الديوان لضبط العطاء وأمور الجند، فجعل ديوان العطاء لتسجيل الناس بحسب أعطياتهم وكتابة نسبة العطاء وذلك بعد تدفق الأموال باتساع الفتوحات الإسلامية إذ دفعت كثرة الواردات بعمر إلى إنشاء الديوان لتسهيل عملية توزيع العطاء، كما أنشأ ديوان الجند الخاص بأسماء الجند وتقدير رواتبهم.

أ. مفهوم كلمة ديوان:

اختلف في أصل كلمة ديوان هل هي عربية أم فارسية، قال البعض ومنهم سيبويه إنها عربية ومعناها: الأصل الذي يرجع إليه. وقال آخرون ومنهم الأصمعي: بل هي فارسية معربة ومعناها سجل أو دفتر وأطلقت من باب المجاز على المكان الذي تحفظ فيه السجلات الرسمية.[1]

وهناك رواية حول سبب تسمية الديوان لدى الساسانيين بهذا الاسم وأظهرت أنّ هذا التعبير قد انتقل من الساسانيين إلى العرب حيث تقول: دخل كسرى أنو شروان ذات يوم على كتابه، وعندما رآهم يقومون بالعد والحساب مع بعضهم البعض، قال عنهم "ديوانه" أو "مجانين". ومع مرور الوقت، جرى إطلاق كلمة ديوانه على المكان الذي يعمل به الكتاب ثم سقط حرف "الهاء" من آخر الكلمة وتحولت إلى "ديوان".[2]

1- النظم الاسلامية أنور الرفاعي.دمشق :دار الفكر.ط 8 .1427 هـ/2006 م .ص 81

2- تأسيس عمر بن الخطاب للديوان مصطفى فايدة.الرياض :مركز الملك فيصل للدراسات الاسلامية ط 1.1418 هـ/1997 م .ص 67

وجاءت كلمة "ديوان" بمعنى "دفتر الحساب" في حديث روي عن عائشة رضي الله عنها.

ومن جانب آخر، فالديوان تعبير استخدم لإظهار مكانة الشعر وأهميته في المجتمع العربي، وأطلق بعض المؤلفين على الشعر اسم "ديوان العرب" أو "ديوان علم العرب"، أي الذي يحوي كلّ معارف العرب وحافظ عليها، والذي يراجعونه دوما، ويستفيدون منه.[1]

ويعرفه الماوردي بقوله: « والديوان موضع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال».[2]

واصطلاح الديوان شاع استخدامه في بلاد الإسلام منذ تأسيس عمر للديوان من أجل توزيع واردات الفيء، وأصبح في عهد الأمويين، والعباسيين بشكل خاص اسما يطلق على مؤسسات تتولى وظائف الدولة المختلفة، وعلى رأسها الأمور العسكرية والشؤون المالية.[3]

ب.سبب تأسيس عمر للديوان:

ذكرت المصادر سبب تأسيس عمر للديوان بروايات مختلفة منها:

قال أبو يوسف: "وحدثني غير واحد من علماء أهل المدينة، قالوا لما قدم على عمر ابن الخطاب رضي الله عنه جيش العراق من قبل سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه شاور أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في تدوين الدواوين".[4]

1- المرجع السابق .ص 68 .

2- الأحكام السلطانية والولايات الدينية. الماوردي ص.158

3- تأسيس عمر بن الخطاب للديوان. مصطفى فايدة ص 68

4- كتاب الخراج أبو يوسف ص 24

قال الماوردي: "وأول من وضع الديوان في الإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه واختلف الناس في سبب وضعه له، فقال قوم سببه أنّ أبا هريرة قدم عليه بمال من البحرين فقال له عمر: ماذا جئت به؟ فقال خمسمائة ألف درهم فاستكثره عمر فقال له: أتدري ما تقول؟ قال نعم مائة ألف خمس مرات، فقال عمر: أطيب هو؟ فقال: لا أدري، فصعد عمر المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس قد جاءنا مال كثير، فإن شئتم كلنا لكم كيلا وإن شئتم عددنا لكم عدّا، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين قد رأيت الأعاجم يدونون ديوانا لهم فدوّن أنت لنا ديوانا".[1]

وفي رواية ابن سعد أنّ علي بن أبي طالب قال: « تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من المال، ولا تمسك منه شيئا»، وقال عثمان: « أرى مالا كثيرا يتبع الناس فإن لم يحصوا حتى يعرف من أخذ ممّن لم يأخذ خشيت أن ينتشر الأمر»، فقال الوليد ن هشام بن الصغيرة: « قد كنت بالشام فرأيت ملوكها قد دوّنوا ديوانا وجندوا جنودا، فدوّن ديوانا وجند جنودا»، فأخذ بقوله ثم أنه دعا عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم، وكانوا من قريش وأمرهم بكتابة الناس على منازلهم، فبدءوا ببني هاشم ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه ثم عمر وقومه، وكتبوا القبائل ووضعوها على الخلافة، ثم رفعوا ذلك السجل إلى عمر فأنكر ذلك، وأمر أن يكون البدء بقرابة رسول الله الأقرب فالأقرب.[2]

قال أبو يوسف: "وحدثني عبد الله بن الوليد المدني عن موسى بن يزيد قال: حمل أبو موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ألف ألف، فقال عمر: بكم قدمت؟ فقال: بألف ألف، قال: فأعظم ذلك عمر، وقال: هل

1- الأحكام السلطانية والولايات الدينية الماوردي .ص 158

2- الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ص 158.

تدري ما تقول، قال: نعم، قدمت بمائة ألف ومائة ألف حتى عدّ عشر مرات، فقال عمر: إن كنت صادقا ليأتين الراعي نصيبه من هذا المال وهو باليمن ودمه في وجهه".[1]

وقال آخرون: بل سببه أنّ الشخص الذي أوصى عمر بتأسيس الديوان، هو فير زان الفارسي، قال فير زان سائلا عمر- الذي كان يرسل أحد الجيوش- "لو فارق أحد الأفراد هذا الجيش ماذا تصنع له؟ وكيف يعلم قائدك أنه فارقهم؟"، فقال عمر: « وماذا توصيني؟»، فأوصى فير زان الخليفة بتشكيل الديوان، وأوضح له بعض الأمور المتعلقة بالديوان، وبناءا على ذلك أسس عمر الديوان.[2]

وقيل إنه عندما بدأت خزائن الأكاسرة في الورود إلى المدينة، لم يستطع عمر أن يعرف كيف سيصنع بها، ولا كيف سيحافظ عليها، وكان يوجد بالمدينة بعض مرازبة الفرس، ورأوا حيرة عمر إزاء هذه الثروات الواردة، فأخبروه بأنّ الأكاسرة قد ضبطوا واردات الدولة ومصروفاتها، وسجلوا أسماء من يحصلون على مرتبات، وكانت لهم دواوين لا تتطرق إليها الحيلة أو الخلل، وقد جذب الأمر اهتمام عمر، فأسس الديوان.[3]

فقد اختلفت الروايات حول سبب تأسيس عمر للديوان، فهناك رواية ترجعه لكثرة الأموال الواردة إلى الدولة، وأخرى تقول بأنه أسسه لتسهيل عملية توزيع العطاء وكتابة من أخذ ممّن لم يأخذ.

1- كتاب الخراج أبو يوسف. ص 46

2- تاريخ الخلفاء الراشدين محمد سهيل طقوش. ص 338

3- الفخري في الأداب السلطانية والدولية الاسلامية ابن الطقطقي. بيروت .دار صادر .د.ط.د.ت.ص83

ج. تاريخ إنشاء الديوان:

قرر عمر بن الخطاب إنشاء الديوان عندما كثرت واردات الدولة الإسلامية، وقد ورد تاريخان في المصادر لإنشائه.

فقد حدّد الطبري سنة (15هـ/636م) كتاريخ لوضع الديوان على يد عمر، فقال: « وفي هذه السنة فرض عمر للمسلمين ودوّن الدواوين، وأعطى العطايا على السابقة».[1]

في حين حدّد البلاذري سنة (20هـ/641م) كتاريخ لإنشاء الديوان من قبل عمر، فقد ذكر: « لما أجمع عمر على تدوين الديوان وذلك في المحرم سنة 20هـ ».[2]

بينما يرجعه ابن الطقطقى لسنة 15 للهجرة فيقول: « وكان المسلمون هم الجند، وكان قتالهم لأجل الدين لا لأجل الدنيا لكنهم إذا غزوا وغنموا أخذوا نصيبا من الغنائم قررته الشريعة لهم، وإذا ورد إلى المدينة مال من بعض البلدان أحضر إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرق فيهم حسب ما يراه صلى الله عليه وسلم، وجرى مدى خلافة أبي بكر، فلما كانت سنة خمس عشرة للهجرة وهي خلافة عمر رأى أنّ الفتوح قد توالت، وأنّ كنوز الأكاسرة قد ملكت، وأنّ الأحمال من الذهب والفضة والجواهر النفيسة والثياب الفاخرة قد تتابعت، فرأى التوسيع على المسلمين وتفريق تلك الأموال فيهم، ولم يكن يعرف كيف يضبط ذلك».[3]

1- تاريخ الطبري. الطبري تحقيق :أبو صهيب الكري .عمان :بيت الافكار الالولية د.ط .د.ت.ص 630

2- تاريخ الخلفاء الراشدين .ص 338-محمد سهيل طقوش.

3- الفخري في الأداب السلطانية والدول الاسلامية ابن الطقطقي. بيروت .دار صادر .د.ط .د.ت.ص 83

وتشير رواية الطبري التالية إلى أنّ عمر أنشأ الديوان سنة 15 للهجرة، قال أبو جعفر الطبري: «قالوا: فرض عمر العطاء حين فرض لأهل الفيء الذين أفاء الله عليهم، وعمّ أهل المدائن، فصاروا بعد إلى الكوفة، انتقلوا عن المدائن إلى الكوفة والبصرة ودمشق وحمص والأردن وفلسطين ومصر، وقال: الفيء لأهل هؤلاء الأمصار ولمن لحق بهم وأعانهم، وأقام معهم ولم يفرض لغيرهم، ألا فيهم سكنت المدائن والقرى، وعليهم جرى الصلح، وإليهم أدّى الجزاء، وبهم سدّت الفروج ودوّخ العدو. ثم كتب في إعطاء أهل العطاء أعطياتهم إعطاء واحدا سنة خمسة عشرة».[1]

د. أنواع الدواوين التي أنشأها عمر رضي الله عنه:

1. ديوان العطاء:

وهو ديوان أنشأه عمر لتسجيل عطاء كل فرد من المسلمين بحيث وضع الفاروق أسسا يسير عليها عمال الديوان في فرض نسبة العطاء لكل فرد.

ويربط البلاذري فرض العطاء باستقرار فتوح العراق والشام فيقول: « كما افتتح عمر العراق والشام وجبى الخراج جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إني قد رأيت أن أفرض العطاء لأهله، فقالوا: نعم رأيت الرأي يا أمير المؤمنين»، فكانت إحصاء الناس وتصنيفهم إلى فئات متعددة طبقا لقدمهم في الإسلام، وفضلهم في الفتوح، المحتوى الاجتماعي الأساسي لديوان عمر.[2]

ولما أراد الفاروق وضع ديوان العطاء قال للصحابة: « بمن أبدأ؟ فقال عبد الرحمن بن عوف: ابدأ بنفسك، فقال: لا والله، ولكن أبدا ببني هاشم رهط النبي

1- تاريخ الطبري. الطبري. ص 631

2- تاريخ الخلفاء الراشدين محمد سهيل طقوش. ص 340-341

صلى الله عليه وسلم، فكتب من شهد بدرا من بني هاشم- من مولى أو عربي- لكل رجل منهم خمسة آلاف خمسة آلاف وفرض للعباس بن عبد المطلب اثني عشر ألفا ثم فرض لمن شهد بدرا من بني أمية بن عبد شمي ثم الأقرب فالأقرب إلى بني هاشم وفرض للبدريين أجمعين خمسة آلاف خمسة آلاف وفرض للأنصار أربعة آلاف أربعة آلاف فكان أول أنصاري فرض له محمد بن مسلمة وفرض لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف عشرة آلاف وفرض لعائشة رضي الله عنها اثني عشر ألفا، وفرض لمهاجرة الحبشة أربعة آلاف أربعة آلاف لكل رجل منهم، وفرض لعمر بن أبي سلمة لمكان أمه سلمة أربعة آلاف، وفرض للحسن والحسين خمسة آلاف خمسة آلاف لمكانهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم فرض للناس ثلاثمائة ثلاثمائة وأربعمائة أربعمائة للعربي والمولى، وفرض لنساء المهاجرين والأنصار ستمائة ستمائة وأربعمائة أربعمائة وثلاثمائة ثلاثمائة ومائتين مائتين، وفرض لأناس من المهاجرين والأنصار ألفين ألفين».[1]

ولم يكن عمر رضي الله عنه يضع نفسه في المقام الأول من العطاء كونه الخليفة وبيده حكم الدولة الإسلامية بشساعتها وملكها فكان يقول: « ضعوا عمر حيث وضعه الله»، ويمدنا ابن الطقطقى حول قول عمر هذا: "إنّ عمر رأى أن يجعل العطاء على حسب السبق إلى الإسلام وإلى نصرة الرسول عليه الصلاة والسلام، في مواطن حروبه، ثم استخدم الكتّاب في الدواوين وأمرهم بترتيب الطبقات وضبط العطاء، فقالوا: بمن نبدأ يا أمير المؤمنين؟ فأشار ناس من الصحابة عليه بأن يبدأ بنفسه، وقالوا: أنت أمير المؤمنين وتقديمك واجب، فكره

1- كتاب الخراج ابو يوسف .ص 44

عمر ذلك وقال: ابدأو بالعباس عمّ رسول الله، صلوات الله عليه، وببني هاشم ثم بمن بعدهم طبقة بعد طبقة، وضعوا آل الخطاب حيث وضعهم الله عز وجل".[1]

ولنا في هذا رواية أخرى رواها الطبري تؤكد عدم تفضيل عمر نفسه في العطاء على غيره من المسلمين، إذ أراد بنو عدي أقرباؤه أن يضع نفسه في المقام الأول أي مقام الخليفة، فهو الأولى بالتفضيل: "فجاءت بنو عدي إلى عدي، فقالوا: أنت خليفة رسول الله، قال: أو خليفة أبي بكر، وأبو بكر خليفة رسول الله، قالوا: وذاك، فلو جعلت نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم! قال: بخ بخ بني عدي! أردتم الأكل على ظهري، وأن أذهب حسناتي لكم! لا والله حتى تأتيكم الدعوة، وأن أطبق عليكم الدفتر ولو أن تكتبوا في آخر الناس، إنّ لي صاحبين سلكا طريقا، فإن خالفتهما خولف بي، والله ما أدركنا الفضل في الدنيا، ولا نرجو ما نرجو في الآخرة من ثواب الله على ما علمنا إلا بمحمد صلى الله عليه وسلم، فهو شرفنا، وقومه أشرف العرب، ثم الأقرب فالأقرب، إنّ العرب شرفت برسول الله".[2]

أمّا الأسس التي وضعها الفاروق رضي الله عنه لتثبت أسماء الناس في الديوان فهي:

1) درجة النسب المتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم.
2) السبق في الإسلام.
3) جهاد الأعداء: ومن ثمّ كان أهل بدر يتصدرون قائمة العطاء ويليهم في المكانة من شهد المواقع على الحديبية ثم من الحديبية إلى القضاء على المرتدين.

1- الفخري في الأداب السلطانية والدول الاسلامية ابن الطقطقي. بيروت .دار صادر .د.ط. د.ت .ص 84

2- تاريخ الطبري. الطبري ص 709

4) جعل أهل الفترة الواحدة طبقة واحدة في العطاء بمعنى أنّ من شهد المواقع إلى الحديبية مثلا طبقة واحدة.
5) فضل أهل الحرب على قدر براعتهم في القتال.
6) البعد والقرب عن أرض العدو، وفضل من قربت داره عمّن بعدت داره عن العدو.[1]

وكان عمر يرى أنّ كل المسلمين من الجزيرة العربية إلى غاية فارس والعراق والشام إلا وله حق في هذا المال وله عطاؤه الذي أفاء الله عليه بخيراته التي أنعمها على المسلمين، فكان يقول: "والله الذي لا إله إلا هو، ثلاثا، ما من أحد إلا له في هذا المال حق أعطيه أو منعه، وما أحد أحق به من أحد إلا عبد مملوك، وما أنا فيه إلا كأحدهم، ولكنا على منازلنا من كتاب الله، وقسمنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، والرجل وبلاؤه في الإسلام، والرجل وقدمه في الإسلام، والرجل وعناؤه في الإسلام والرجل وحاجته، والله لئن بقيت ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو مكانه".[2]

ولم يغفل عمر رضي الله عنه نصيب الأطفال في العطاء فكان يخصص للطفل المفطوم من الرضاعة قدرا من المال فإذا كبر زاد في عطائه لكثرة حاجته ومصروفه ببلوغه ولكن سرعان ما تفطن عمر أيضا إلى فرض العطاء للطفل المولود حتى لا يعرض المسلمون أطفالهم للفطام في سن مبكرة بغية الحصول على العطاء، يقول الماوردي: "وفرض للمنفوس مائة درهم، فإذا ترعرع بلغ به مائتي درهم، فإذا بلغ زاده، وكان لا يفرض لمولود شيئا حتى يفطم إلى أن سمع امرأة ذات ليلة وهي تكره ولدها على الفطام وهو يبكي فسألها

1- النظم والحضارة الاسلامية فتيحة النبراوي ص 85
2- تاريخ الطبري. الطبري ص .709-710

عنه؟ فقالت إنّ عمر لا يفرض للمولود حتى يفطم فأنا أكرهه على الفطام حتى يفرض له، فقال: يا ويل عمر كم احتقب من وزر وهو لا يعلم ثم أمر عمر مناديه فنادى: لا تجعلوا أولادكم بالفطام فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام".[1]

وقد قام عمر بإشراك المسلمين العجم في ديوان العطاء فخصص لهم قدرا من العطاء، "فقد فرض عمر لدهقان نهر الملك ببغداد ولابن النخيرجان ولخالد وجميل ابني بصبهري دهقان الفلاليج، ولبسطام بن نرسي دهقان بابل وحطرنية، وللرفيل دهقان المال، وللهرمزان ولجفينة العبادي ألفا ألفا، ويقال أنه فضل الهرمزان ففرض له ألفين".[2]

ولاقت هذه السلوكية العمرية الرضى والقبول من عامة المسلمين، وبخاصة أنها لم تتعارض مع الأعراف والقيم السلوكية للقبائل الإسلامية المختلفة، ولا مع البنية القبلية للفاتحين، وتحقق العدالة من واقع نصيب القبلية في معيار ديني وهو الفضل والأسبقية في الإسلام ونصرته.

ويعدّ ديوان عمر إجراء تنظيميا فنيا يضبط علاقات المسلمين فيما بينهم بالنسبة لقسمة الفيء، وتخصيص توزيعه، وهو بالمقارنة مع ظروف تلك المرحلة حدث غير عادي، وتحول نحو مصالح الفئات الشعبية التي أخذت تتحسس عمليا حجمها المعنوي في مجتمع تتكافأ فيه الفرص والتضحيات بصورة نسبية.[3]

والواضح أنّ عمر دوّن الديوان وفرض العطاء لغرض أسمى هو تبليغ رسالة عظيمة هي رسالة الإسلام، وذلك ليتفرغ المسلمون للجهاد في سبيل الله،

1- الاحكام السلطانية والولايات الدينية . الماوردي ص160

2- تاريخ الدولة العربية السيد عبد العزيز سالم ص 253

3- تاريخ الخلفاء الراشدين محمد سهيل طقوش ص 343

"ولهذا منع قسمة الأراضي المفتوحة بين الفاتحين حتى لا يعملوا بالزراعة فتشغلهم عن الجهاد، وتجذبهم الأرض إليها فتنسيهم الرسالة الكبرى التي ألقى القدر عليهم أن ينهضوا بها، فقد ساعد تدوين الديوان وفرض العطاء أولئك المسلمين على أداء الرسالة".[1]

2. ديوان الجند:

ارتبطت نشأة ديوان الجند أو تسجيل أسماء الجند لمواجهة الزيادة التي طرأت على عدد الجند ومن ثمّ ضرورة إحصائهم وترتيب أمورهم وتوفير أعطياتهم، ومن أجل ذلك كان لابدّ من تخصيص ديوان للجند، وديوان الجند نشأ عربيا؛ حيث وضع الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أسسا للانتظام في ديوان الجند يتقدم وفقها أفراد الديوان في المرتبة والعطاء، وهذه الأسس تتداخل مع الأسس العامة التي يترتب وفقها الناس عند فرض العطاء.[2]

وقد أوضح الماوردي أهم الأسس التي سار عليها عمر في تسجيل الجند وقيمة العطاء في هذا الديوان فقال: "إنّ هذا الديوان يختص بالجيش من إثبات وعطاء فإثباتهم في الديوان معتبر بثلاثة شروط أحدها: الوصف الذي يجوز به إثباتهم، والثاني: السبب الذي يستحق به ترتيبهم، والثالث: الحال التي يقدر بها عطاؤهم".

أما الشرط الأول: وهو جواز إثباتهم في الديوان فيجب أن تراعى فيمن يثبت في الديوان خمسة أوصاف:

1) البلوغ.

1- المرجع السابق ص .343

2- أطلس الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ص 314

2) الحرية.
3) الإسلام.
4) السلامة من الآفات.
5) الإقدام على الحروب ومعرفة القتال.

فإذا تكاملت هذه الأوصاف كان إثباته في ديوان الجيش موقوفا على الطلب والإيجاب، فيكون منه الطلب، ولولي الأمر الإجابة إذا دعت الحاجة.[1]

الشرط الثاني: يقوم هذا الشرط على أساسين:

الأول: النسب؛ وهذا يعني ترتيب الأسماء حسب قبائلها ومدى قرابتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والثاني: يقوم على ترتيبهم الواحد بعد الواحد وفقا لسبقهم في الإسلام، فإن تكافئوا فبالدين، فإن تكافئوا فبالسن، فإن تقاربوا فتعتبر الشجاعة، فإن تقاربوا فلولي الأمر أن يختار أو يقترع بينهم، وله أيضا أن يجتهد رأيه.

أمّا الشرط الثالث: وهو تقدير العطاء بالكفاية، والكفاية كما يقول الماوردي معتبر على ثلاث أسس:

1) عدد من يعول من الذراري والمماليك.
2) عدد ما يربطه من الخيل والظهر.
3) الموضع الذي يحله من الغلاء والرخص.[2]

1- الاحكام السلطانية والولايات الدينية الماوردي. ص162

2- النظم والحضارة الإسلامية فتيحة النبراوي ص .90-91

من خلال هذه الشروط نرى أنّ عمر قد اتبع نفس الأسس التي قام عليها ديوان العطاء، فقد ميّز بين الجنود بحسب قرب النسب من رسول الله صلى الله عليه وسلم والسبق في الإسلام، ثم أضاف الكفاءة والشجاعة وراعى في عطاء الجندي عدد الأولاد الذين يعيلهم، وراعى غلاء المعيشة في المدينة التي تقطنها أسرته.

فقد فرض لأهل القادسية وأهل الشام ألفين ألفين، وفرض لأهل البلاء البارع منهم ألفين وخمسمائة فقيل له: لو ألحقت أهل القادسية بأهل الأيام؟ فقال: لم أكن لألحقهم بدرجة من لم يدركوا، وقيل له: قد سويت من بعدت داره، ومن قاتلهم عن فنائه، فقال: من قربت داره أحق بالزيادة، لأنهم كانوا رداءا للحقوق، وشجّا للعدو.[1]

ووضع عمر شروطا في ديوان الجند ألزمت الجنود الانقياد بها وإذا خالفوها تعرضوا لعقوبات، "فأجاز لبعض أعضاء الديوان أن يستعفي نفسه من الجيش، أمّا إذا دعت الحاجة إليه فلا يؤذن له بذلك، وإذا تخلف بعض أعضاء الديوان عن الحرب وهم أكفاء سقطت أرزاقهم، وكان الانتظام في ديوان الجيش يعني بالضرورة الالتزام بشروطه، وهي التفرغ التام للجندية والجهاد دفاعا عن الإسلام، وتكفلت الدولة في عهده باحتياجات الجنود من سلاح ونفقة ودواب وإذا مات الجندي أو قتل ورث أبناؤه عطاءه، وهو دين لورثته في بيت مال المسلمين".[2]

1- اطلس الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سامي المغلوث. ص 314

2- النظم والحضارة الإسلامية. فتيحة النبراوي ص 91

5-أثر إسهاماته رضي الله في الحضارة الإنسانية:

أثرت إسهامات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تطوير النظم الإسلامية أثرا كبيرا على الحضارة الإنسانية، فعملت إسهاماته على تطور الحضارة الإسلامية والإنسانية أيضا.

فنذكر أنّ رسائله إلى القضاة تعتبر دستورا في النظام القضائي للحضارة الإنسانية أجمع، فقد جعل للقاضي صفات وتعاليم عليه التحلي بها والالتزام بتأديتها، فكان القضاء في عهده قضاء عادلا يساوي بين المتخاصمين قريبهم كبعيدهم وضعيفهم كقويهم، وكان قدوة لقضاته في عدله يساوي بين المسلم والعجمي، وله بعض المواقف في هذا؛ " فقد حكم بالحق لرجل يهودي على المسلم، ولم يحمله كفر اليهودي على ظلمه والحيف عليه، أخرج الإمام مالك من طريق المسيب: أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه اختصم إليه مسلم ويهودي، فرأى عمر أنّ الحق لليهودي فقضى له، فقال له اليهودي: والله لقد قضيت بالحق".[1]

وتركت مقولة عمر لعمرو بن العاص أثرا كبيرا، حيث قال له: « متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟»، إذ خاطبت كلّ حكام الحضارة الإنسانية الذين تعبدوا الناس وهم بشر مثلهم، فالحاكم ليس إلا رجلا من الرعية ولكنه يحمل على عاتقه عبء المسؤولية التي ألقيت عليه وهي الحكم الذي يراه البعض سلطة وملكا لتعبد الناس وظلمهم لضعف سلطانهم، ونورد هنا رأي المستشرق "موير" في كتابه 'الخلافة' حيث يصف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قائلا: « كانت البساطة والقيام بالواجب من أهم مبادئ عمر، وأظهر ما

1- فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب. علي الصلابي ص 113

اتصفت به إدارته عدم التحيّز والتعبد، وكان يقدر المسؤولية حق قدرها. وقال: وكان شعوره بالعدل قويا ولم يحاب أحدا في اختيار عماله».[1]

وكتب الأستاذ "واشنجتون إيرفنج" في كتابه (محمد وخلفاؤه): « إنّ حياة عمر من أولها إلى آخرها تدل على أنه كان رجلا ذا مواهب عقلية عظيمة وكان شديد التمسك بالاستقامة والعدالة وهو الذي وضع أساس الإمبراطورية الإسلامية ونفذ رغبات النبي وثبتها وآزر أبا بكر بنصائحه أثناء خلافته القصيرة، و وضع قواعد متينة للإدارة الحازمة في جميع البلاد التي فتحها المسلمون».[2]

ويعدّ نظام العطاء الذي فرضه عمر للناس من خلال إنشائه للديوان دليلا بارزا على قوة عدله بين المسلمين، "وكل ما وصلت إليه الحضارة الحديثة في بعض البلاد، إنما هو التأمين الاجتماعي الذي تؤخذ نفقاته من الناس لترد عليهم بعد ذلك، حين يحتاجون في بعض الأمر إلى العلاج حين يمرضون، وإلى كفالة الحياة للشيوخ والضعفاء والعاجزين عن العمل لكسب القوت، وتأمين العمال من أخطار العمل، وتأمين الذين يخدمون الدولة والهيئة الاجتماعية على رزقهم حين تنقضي خدمتهم، فأمّا أن يكون لكل فرد من أفراد الأمة نصيب مقسوم من خزانة الدولة فشيء لم يعرف إلا منذ عمر رحمه الله".[3]

إذ كفل عمر بهذا النظام العيش الرخي للضعفاء والأطفال والأرامل وحتى اللقطاء، "ففرض لكل مولود في الإسلام، وكتب بذلك إلى عماله في الأقاليم، فكان ولي الطفل يأخذ عطاءه منذ ولادته ولا ينتظر به الفطام، وجعل للقيط مائة درهم، يأخذها وليه ويدخرها له، وجعل رضاعه ورزقه من بيت المال، يصيب

1- موسوعة الخلفاء الراشدين. محمد رضا ص 43.

2- المرجع نفسه ص .44

3- الخلفاء الراشدون. طه حسين ص 140

وليه حق ذلك في كل شهر، فإذا ترعرع اللقيط زيد عطاؤه، وكان شأنه شأن أطفال المسلمين، وقد فرض عمر لنساء أرامل عطاء، فجعل لصفية بنت عبد المطلب ألف درهم، ولأسماء بنت عميس زوج أبي بكر ألف درهم ، ولأم عبد الله بن مسعود ألف درهم".[1]

وقد وصفه المستشرق "موير" في كتابه الخلافة بقوله: « ومع أنه كان يحمل سوطه ويعاقب المذنب في الحال، حتى قيل أنّ سوط عمر أشدّ من سيف غيره- إلا أنه كان رقيق القلب وكانت له أعمال سجلت له شفقته ومن ذلك شفقته على الأرامل والأيتام».[2]

ومواقف عمر اتجاه الأرامل والأيتام لم تكن شفقة كما وصفها "موير"، بل كانت صفة من صفاته وهي الرحمة التي غرسها الإسلام في المسلمين ومبدأ ومبادئه، ورحمته هذه كان يعتبرها مسؤولية الحاكم اتجاه رعيته، وبذلك شمل عدله الأرامل والأيتام، فلم تكن رحمته شفقة بل عدلا كان يراه واجبا عليه.

وقد مسّ رفق عمر وعدله الإنسانية جميعا فشملت أهل الذمة الذين خصهم بعنايته ووصاياه لعماله اتجاههم لأنّه تشبع بروح الإسلام وتعاليمه الإنسانية، "فمن ذلك أنه رأى شيخا ضريرا يسأل على باب، فلما علم أنه يهودي قال: ما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن! فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله. فأعطاه ما يكفيه ساعتها، وأرسل إلى بيت المال يقول: أنظر هذا وضربائه فو الله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم. إنما الصدقات للفقراء والمساكين، والفقراء هم المسلمون وهذا من المساكين من أهل الكتاب ووضع عنه الجزية وعن ضر بائه".[3]

1- المرجع السابق ص138-139

2- موسوعة الخلفاء الراشدين. محمد رضا ص43

3- عبقرية عمر. عباس محمود العقاد ص 45

كما أوصى عمر الخليفة الذي يأتي من بعده بأهل الذمة خيرا فقال: « أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيرا، أن يوفي لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم».[1]

ومن رفقه بأهل الذمة أيضا: أنه مر بطريق الشام وهو راجع في مسيره من الشام على قوم قد أقيموا في الشمس يصب على رؤوسهم الزيت، فقال: « ما بال هؤلاء؟ فقالوا: عليهم الجزية لم يؤدوها، فهم يعذبون حتى يؤدوها، فقال عمر: فما يقولون هم وما يعتذرون به في الجزية؟ قالوا: يقولون لا نجد، قال: فدعوهم، لا تكلفوهم ما لا يطيقون، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تعذبوا الناس فإنّ الذين يعذبون الناس في الدنيا يعذبهم الله يوم القيامة)، وأمرهم فخلى سبيلهم».[2]

1- كتاب الخراج .ص 125 :ابو يوسف .

2- المصدر نفسه

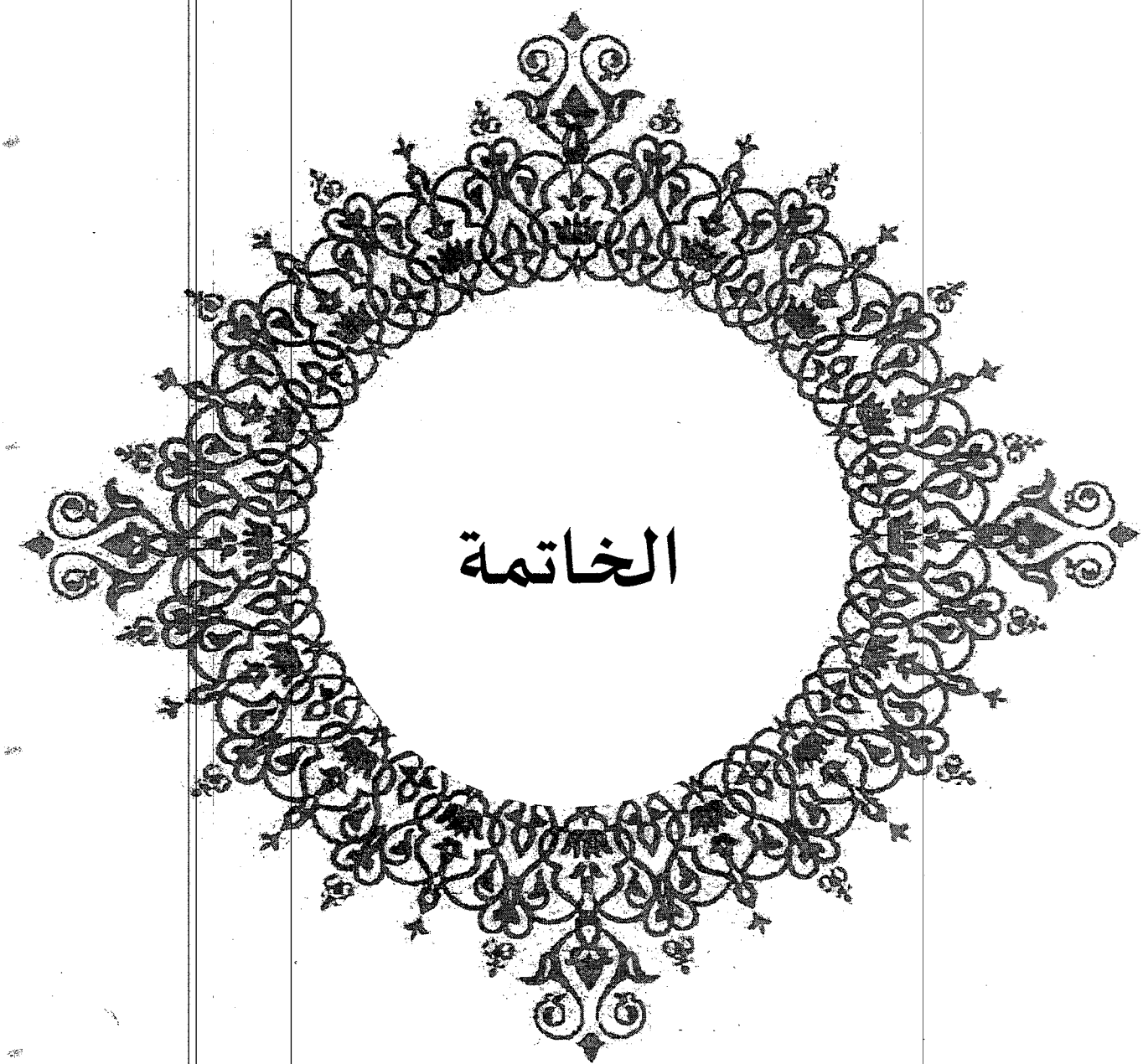

الخاتمة

الخاتمة

- إن الإسلام دين حضاري بكل ما يدل عليه هذا التعبير من معنى فمبادئه تتماشى مع كل قيم الحضارة الإنسانية الأصلية، دون أن تخالفها في قليل ولا في الكثير.
- إن التاريخ الإسلامي صنع للإنسانية تطورا تاريخيا حضاريا ليس له مثيل في تاريخ الشعوب و الجماعات.
- لا بد للجماعات الإسلامية والمسلمة أن تلتزم التزاما كاملا بكل قيم الإسلام الحضارية الكبرى التي لامثيل لها في أي مذهب أو عقيدة أو رسالة .
- إن حضارة الإسلام صنعت للحرية والثقافة المعرفة الإنسانية والمساواة والإخاء والعدالة أضخم السروح التي أوى إلي ظلها كل إنسان ونهل من أفكارها كل عقل ،وارتوى بنابعها الثرة كل فكر.
- إن الحضارة الإسلامية تجمع بين المادة والروح والجسم والعقل والغنى والزهد والدين والدنيا والأمل والعمل.
- هي حضارة تجمع بين الإنسان والإنسان، والأمة، والجماعة وتفتح قلب الإنسان ليسمع نداء السلام والحرية مُدوٍ في كل أفق مجلجلا لكل بقعة.
- إن الوجه الحضاري للإسلام قد عاش أجيالا يقود العالم، ويتزعم الدنيا وتتأسَّى به الشعوب والأمم والجماعات الإنسانية ولا بد من إكمال المسيرة نحو شاطئ هذا الكنز المختبئ في جنة الأمل .
- لقد كان المسلمون بل الإنسانية كلها في حاجة إلى معرفة فضائل أصحاب الرسول ﷺ وكرم معدنهم وأثر تربية رسول الله ﷺ، وما كانوا عليه من علو المنزلة التي صاروا بها الجيل المثالي في تاريخ البشر.
- إن سيرة الخلفاء الراشدين وتاريخهم المجيد من أقوى مصادر الإيمان والعاطفة الإسلامية الصحيحة، التي لا تزال هذه الأمة تقتبس منها شعلة الإيمان وتحمل زاد الدعوة وتشعل أنوار الحق في قلوب الناس لا تنطفأ بريح الهدم التي يوجهها أعداء الأمة ضد دعوتها وتاريخها .
- إن سيرة الصدِّيق مليئة بالدروس والعبر فهو أعظم شخصية في الإسلام بعد النبي ﷺ فقد كان هذا الصحابي الجليل قد اتصف بمكارم الأخلاق والصفات الحميدة منذ الجاهلية، فلم يعرف عنه أنه سجد لصنم أو شرب الخمر، لقد كان أبو بكر كنز من الكنوز ادَّخره الله تعالى لنبيه وكان من أحب قريش لقريش فذلك الخلق السمح الذي وهبه الله إياه جعله من الموطئين أكنافا من اللذين يَألَفون ويُألَفون .
- جعل عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- الشورى أساس حكمه اقتداء برسول الله ﷺ و أبي بكر

- أقام العدل في الدولة الإسلامية حتى ارتبط اسمه بهذه الصفة في الحضارة الإنسانية أجمع.
- قسَّم عمر البلاد الإسلامية إلى ولايات و جعل على رأس كل ولاية واليا يحكمها.
- كما عمل –رضي الله عنه- على محاسبة ولاته بشتى الطرق و معاقبتهم بما يراه مناسبا وواجبا عليه، و ذلك حرصا على رعيته من الظلم وعلى استقامة ولاته.

*القرآن الكريم رواية ورش عن نافع

*الحديث النبوي الشريف (صحيح مسلم)

قائمة المصادر والمراجع:

1- أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين محمد رضا دار الكتاب العربي لبنان ط.01 –دت

2- الأحكام السلطانية والولاية الدينية للموارد أبو الحسن إبن محمد غبن حسن حسن البصري –دار الحديث –القاهرة –د.ط-د.ت

3- الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبو بكر الصديق –علي محمد الصلابي –دار المعرفة –بيروت –دط -2006

4- البداية والنهاية –أبو قضاء الحافظ بن كثير الدمشقي –دار الريان –القاهرة – ط01 -1986.

5- تاريخ الخلفاء وأمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة –جلال الدين السيوطي – المكتبة التجارية القاهرة –د.ط -1952.

6- تاريخ عمر بن الخطاب- ابن الحوزي –جمال الدين أبو الفرج- الزهراء للنشر والتوزيع –الجزائر-ط01 -1990.

7- تاريخ الإسلام السياسي الديني ،الثقافي ،الاجتماعي ،-حسن إبراهيم حسن – دار الجبل –بيروت –د.ط -2009.

8- تاريخ الخلفاء –جلال الدين عبد الرحمان ابن أبوبكر السيوطي –دار الكتاب العربي –د.ط-2005.

9- تاريخ الطبري –الطبري ،أبو جعفر محمد ابن حرير –بيت الأفكار الدولية – عمان-د.ط-د.ت

10- تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والانجازات السياسية –دار النفائس – بيروت –ط01 -2003.

11- تاريخ النظم والحضارة الإسلامية النبراوي –فتيحة عبد الفتاح دار الفكر العربي –ط 09 -199

12- تاريخ الدعوة إلى الاسلام في عهد الخلفاء الراشدين- يسرى محمد هاني – جامعة أم القرى –ط01 –د.ت

13- ترتيب وتهذيب البداية والنهاية –محمد بن حامد السلمي –دار الوطن – الرياض –ط01 -1997 .

14- التاريخ الإسلامي –محمود شاكر –المكتب الإسلامي –دمشق –ج.03 – د.ط -2000.
15- خلود الإسلام محمد عبد المنعم خفاجي –دار الشهاب-باتنة –د.ط -1986.
16- الخلافة –رشيد رضا –دار موفم للنشر –د.ط -1992.
17- الخلفاء الراشدون –أعمال وأحداث أمين قضاة –دار الأفاق –الجزائر –د.ط –د.ت
18- الخلفاء الراشدين –طه حسين –دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،ط01 - 1973. السيرة النبوية
19- الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين حمدي شهين ،دار القاهرة ،ط01 -2003.
20- الدولة العربية الإسلامية الأولى ،عصام محمد ،دار النهضة العربية ،ط03 ،د.ت
21- الدولة الإسلامية الأولى "عهد البعثة النبوية" حسن أحمد محمود ،دار الفكر العربي ،القاهرة ،د.ط -1998.
22- رجال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطريق إلى الدعوة ،أحمد بن يوسف القادري ،دار الأرقم ،لبنان ،ط01 -2000.
23- سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شخصيته وعصره علي محمد الصلابي ،دار المعرفة ،بيروت ،د.ط ،2006.
24- سيرة أعلام النبلاء ،شمس الدين بن أحمد مكتبة الصفا ،ط01،2003.
25- سلسلة الأحاديث الصحيحة ،محمد ناصر الألباني ،منشورات المكتب الإسلامي ،د.ط،د.ت.
26- السيرة النبوية لأبي شهبة .دار القلم ،دمشق ،ط02 1996.
27- السيرة النبوية لأبن هشام أبي محمد عبد الملك ،دار النشر للترات ،القاهرة ،ط03،2010.
28- شخص الصواب في فصائل أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ،إمام يوسف ابن الحسن ،دار الأضواء ،ط01 -2000.
29- عبقرية عمر عباس محمود العقاد مكتبة الرحاب الجزائر ،د.ط -1989.
30- عصر الخلفاء الراشدين فتيحة عبد الفتاح النبراوي ،دار السعودية ،ط03 - 1994.
31- فتوحات البلدان ،أبو عباس أحمد ابن يحي بن جابر دار الكتاب العلمية ،بيروت ،د.ط ،ج01.

32- فجر الإسلام أحمد أمين دار الموقع للنشر ،د ،ط 1994.
33- الفاروق عمر ابن الخطاب تاني الخلفاء الراشدين محمد رضا ،دار الفكر لبنان ،ط01 ،2004.
34- فصل الخطاب في سيرة عمر ابن الخطاب ،علي محمد الصلابي ،مكتبة الصحابة ،ط01،2002.
35- كتاب الخراج أبو يوسف يعقوب دار المعرفة بيروت ،د.ط ،د.ت
36- الكامل في التاريخ ابن الأسير علي بن أحمد دار الصادر بيروت ج 02 د.ط -1967.
37- الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي ،راغب السرجاني مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع ،ج 01 ،ط1 2005.
38- مروج الذهب ومعادن الجوهر ،أبو الحسن علي ين الحسن ،المكتبة العصرية ،بيروت 2005.
39- محاصرات في النظم الإسلامية والحضارة العربية ،ضيف الله محمد الأخضر ،دوان المطبوعات الجامعية الجزائر ،د.ط د.ت
40- موسوعة فقه عمر ابن الخطاب ،محمد رواعي القلعجي ،دار النفائس ،بيروت ،ط04 ،1989.
41- موسوعة الخلفاء الراشدين أبو بكر الصديق ،عمر ابن الخطاب ،محمد رضا ،المكتبة العصرية ،بيروت ،د ط ،2006.
42- مختصر التاريخ الإسلامي محمد عبد الله عودة ،الأهلية للنشر والتوزيع عمان د.ط 1989.
43- موسوعة التاريخ الإسلامي عصر الخلفاء الراشدين ،عبد الحكيم الكعبي ،دار أسامة ،عمان د.ط 2009.
44- موسوعة تاريخ العرب عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاءه ،عبد المنعم الهاشمي ،دار ومكتبة الهلال ،بيروت ط01،2006.
45- موسوعة تاريخ العرب ،عبد عون الروضان ،الأهلية عمان ،ط02 ،2007.
46- النظام السياسي في الفكر العربي الإسلامي ،صالح عوض ،الشروق لأعلام والنشر ،ط01،2010.

فهرس المحتويات

المقدمة.....أ

المدخل.....1

الفصل الأول: الدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ.....6

المبحث الأول: الدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ.....7

المبحث الثاني: انتقال الحكم إلى الخلفاء بعد وفاته ﷺ.....11

المبحث الثالث: الوجه الجديد في تشكل الحضارة العربية الإسلامية.....15

الفصل الثاني أبو بكر الصِّدِّيق –رضي الله عنه-.....20

المبحث الأول: خلافته رضي الله عنه.....21

المبحث الثاني: دور الخليفة في تشكيل حضارة وأهم الإنجازات التي ساهمت في قيام الحضارة.....25

المبحث الثالث: أهم الدروس والعبر والقواعد من خلافته رضي الله عنه.....30

الفصل الثالث: إسهامات الخليفة عمر بن الخطاب في تطوير النظم الإسلامية وإثرها في الحضارة الإنسانية.....33

المبحث الأول: تطوير نظام الولاية على الأقاليم.....34

المبحث الثاني: تطوير النظام القضائي.....57

المبحث الثالث: تطوير النظام الإداري.....73

الخاتمة.....91

قائمة المصادر و المراجع.....93